الفصل التمهيدي

التعريف بابن رشد، وبيئته التي تأثر بها؛

وفيه مبحثان:

❖ المبحث الأول: حياته، والمجتمع الذي تنامى فيه.

❖ المبحث الثاني: مكانته العلمية: ميزاتها ونتاجها.

المبحث الأول

حياته والمجتمع الذي تنامى فيه؛

وفيه مطلبان:

- ✓ المطلب الأول: حياته.
- ✓ المطلب الثاني: المجتمع الذي تنامى فيه.

❑ المطلب الأول: حياته

وتشتمل على:

- اسمه، نسبه، كنيته ولقبه؛
- ولادته ووفاته؛
- نشأته في المجتمع العائلي.

۞ اسمه، نسبه، كنيته ولقبه:

هو القاضي العلاّمة محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد ويكنى أبا الوليد. ويعرف بابن رشد الحفيد الغرناطي القرطبي المتكلم، وابن رشد الابن، وابن رشد الأصغر، الحكيم، واشتهر بقاضي الجماعة[1]، إلى جانب تلقيبه بالشارح لبسطه كتب أرسطو[2] .....

---

(١) ينظر: الضبي، أحمد بن يحيى: «بغية الملتمس»: ٤٤؛ الحنبلي، ابن العماد: «شذرات الذهب»: ٣٢٠/٤؛ اليافعي: عبد الله: «مرآة الجنان»: ٤٧٩/٣؛ ابن أبي أصيبعة: «عيون الأبناء في طبقات الأطباء»: ٥٣٠؛ ابن الأبار ، أبو عبد الله محمد: «التكملة»: ٥٥٣/٢؛ المنذري: «التكملة لوفيات النقلة»: رقم الترجمة: ٤٦٩؛ ابن سعيد، عبد الملك: «المغرب»: ١٠٤؛ الذهبي، شمس الدين: «العبر»: ٢٨٧/٤؛ الصفدي: «الوافي»: ١١٤/٢؛ ابن تغرى: «النجوم الزاهرة»: ١٥٤/٦؛ ابن فرحون: «الديباج المذهب»: ٢٥٧/٢؛ مخلوف، محمد: «شجرة النور الزكية»: ١٤٦/١: البغدادي، إسماعيل باشا: «هدية العارفين»: ١٠٤/٢؛ بالنثيا، آنخل؛ جنثالث: «تاريخ الفكر الأندلسي»: ٣٥٣؛ جمعة، الدكتور محمد لطفي: «تاريخ فلاسفة الإسلام»: ١١٤؛ مدكور، الدكتور إبراهيم: «معجم إعلام الفكر الإنساني»: ١٣٩/١؛ الزين، سميح: «ابن رشد آخر فلاسفة العرب»: ٨؛ العقاد، عباس: «ابن رشد»: ١٨.

(٢) أرسطو: أرسطوطاليس بن نيقوماخس الفيثاغورسي الجهراشني. وتفسير أرسطوطاليس تام في الفضيلة. وكان أرسطوطاليس تلميذ أفلاطون المتصدر بعده في الموضعين اللذين تقدّم بهما=

وشرحها[1] فعرف بصاحب المعقول[2].

والطبيب العلامة ابن رشد الذي نترجم له عرف في بلاد أوربا بـ «آفروس- *Averroes*»[3].

۞ ولادته ووفاته:

ولد ابن رشد على الأرجح عام ٥٢٠هـ-١١٢٦م، وتوفي عام ٥٩٥هـ[4] - ١١٩٨م عن عمر يناهز الثمانين في مساء الخميس ٩ صفر الموافق ١٠ كانون الأول وذلك في مراكش[5]. وعلى هذا أدرك من حياة جده[6] شهراً رحمه الله تعالى.

=على أصحابه، ولازم أفلاطون ليتعلم منه مدة عشرين سنة، وكان أفلاطون يؤثره على سائر تلاميذه ويسميه العقل وإليه انتهت فلسفة اليونان. توفي في أوَّل ملك بطليموس لاغوس. ينظر: القفطي؛ جمال الدين: «كتاب إخبار العلماء بأخبار الحكماء»: ١٣.

(١) «الموسوعة العربية المسيرة»: ١٦؛ شيخاني، سمير: «مع الخالدين»: ٢٤٧.

(٢) «الوافي بالوفيات»: ١١٤/٢.

(٣) مصطفى؛ الدكتور عبد الله: «البرد النظير لسونيتات شكسبير»: ٤٨؛ مصطفى: الدكتور عبد الله: «مجمع الأشتات»، الكتاب الأول: ٥٤؛ مصطفى: الدكتور عبد الله: «علم أصول القانون»: ١٠١؛ «تاريخ الفكر الأندلسي»: ٣٥٣؛ «معجم إعلام الفكر الإنساني»: ١٤٤؛ الدفاع، الدكتور عبد الله: «العلوم البحتة في الحضارة العربية الإسلامية»: ٩٢.

(٤) وقد ذهب صاحب المعجب إلى أنَّ وفاته كانت في آخر سنة ٥٩٤. ينظر: «المعجب»: ٣٨٥.

(٥) مراكش: شمال أغمات وعلى اثنى عشر ميلاً منها بداخل المغرب، بناها يوسف بن تاشقين أمير المسلمين سنة ٤٧٠ وقيل ٤٥٩. وهي أكثر بلاد المغرب جنات وبساتين وأعناباً وفواكه، وأكثر أشجارها الزيتون. ينظر: الحميري: محمد عبد المنعم: «الروض المعطار في خبر الأقطار»: ٥٤٠.

(٦) هو القاضي أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي الإمام المحقق المعترف له بصحة النظر وجودة التأليف زعيم الفقهاء إليه المرجع في حل المشكلات متفنناً في العلوم بصيراً=

وكانت ولادته في قرطبة[1]، ولهذا ينسب إليها ويعرف بالقرطبي[2].

۞ نشأته في المجتمع العائلي:

نشأ ابن رشد في بيت، وأسرة عربية عريقة لها مكانتها وجاهها الفقهي، والقضائي؛ بل هي من أكابر الأسر، وأشهرها في الأندلس[3] وكان هو .....

=بالأصول والفروع فاضلاً ديّناً إليه الرحلة. مولده سنة ٤٥٥ وتوفي سنة ٥٢٠. له تآليف، منها «المقدمات الممهدات» و«البيان والتحصيل» وغيرهما. ينظر «شجرة النور الزكية»: ١٢٩/١٦؛ «بغية الملتمس»: ٤٠؛ الذهبي: شمس الدين: «كتاب دول الإسلام»: ٤٤/٢؛ المراكشي: ابن عذارى: «البيان المغرب»: ٧٤/٤.

(١) قرطبة: قاعدة الأندلس وأم مدائنها ومستقر خلافة الأمويين بها، وآثارهم بها ظاهرة، وفضائل قرطبة ومناقب خلفائها أشهر من أن تذكر، وهم أعلام البلاد وأعيان الناس، وكان فيها أعلام الحكماء، وسادات الفضلاء. وبها الجامع المشهور أمره الشائع ذكره، من أجل مصانع الدنيا. فلما عثر جدّها وخوى نجمها وضعف أمر الإسلام واختلّت بالجزيرة كلمته تغلب عليها النصارى وحكموا عليها، وذلك في أواخر شوال من سنة ٦٤٤. ينظر: «المعجب»: ٣٨٥؛ «الروض المعطار»: ٤٥٦.

(٢) ينظر «طبقات الأطباء»: ٥٣٠؛ «شذرات الذهب»: ٣٢٠/٤؛ «بغية الملتمس»: ٤٤؛ «هدية العارفين»: ١٠٤/٢؛ «التكملة»: ٥٥٣/٢؛ «المغرب»، رقم الترجمة: ١٠٤؛ «العبر»: ٢٨٧/٤؛ «الوافي»: ١١٤/٢؛ «الديباج المذهب»: ٢٥٧/٢؛ «سير أعلام النبلاء»: ٣٠٧/٢١- ٣١٠؛ «شجرة النور الزكية»: ١٤٦/١؛ «تاريخ الفكر الأندلسي»: ٣٥٣؛ «تاريخ فلاسفة الإسلام»: ١١٤؛ «معجم أعلام الفكر الإنساني»: ١٣٩/١.

(٣) الأندلس: هذه الجزيرة في آخر الإقليم الرابع إلى المغرب. والأندلس بقعة كريمة طيبة التربة كثيرة الفواكه، والخيرات فيها دائمة بها المدن الكثيرة والقواعد العظيمة ، وفيها معادن الذهب والفضة والنحاس والرصاص والحديد والزئبق واللازود والتوتيا والزاج. والأندلس دار جهاد وموطن رباط. وافتتحت الأندلس في أيام الوليد بن عبد الملك فكان فتحها من أعظم الفتوح الذاهبة بالصيت في ظهور الملة الحنيفية. ينظر: «الروض المعطار»: ٣٢- ٣٥ «المعجب»: ٤٥٠ - ٤٥٢.

وأبوه[1]، وجدّه قضاة قرطبة، وانفرد حيناً بقضاء أشبيلية[2]. فلقد نشأ ابن رشد الفيلسوف الوحيد في أسرة من الفقهاء، والقضاة[3].

وهكذا غدت الأسرة الرشدية تُمنح الألقاب الرفيعة كقاضي الجماعة[4].

وفي مدينة قرطبة نشأ الفتى ابن رشد، وتنامى، وتناقل في الأحضان العلمية بين أب، ووراثة جد يتميزان بالقدرة العلمية، والمكانة الاجتماعية؛ فولّدت هذه التأثيرات البيئية كسباً يضاف إلى الطبع من حسن رأي، وبصيرة نافذة، وأفق واسع.

ومما امتازت به نشأت ابن رشد وثوقه بنفسه وهذا ما حدث به القاضي: أبو مروان الباجي[5]؛ حيث قال: «كان القاضي أبو الوليد ابن رشد حسن الرأي ذكياً

---

(١) أبو القاسم أحمد بن أبي الوليد ابن رشد الإمام المتفنن الفقيه العالم المتقن المعروف بالجلالة والدين المتين. له برنامج حافل وتفسير في أسفار، وله شرح على سنن النسائي حفيل للغاية. مولده سنة ٤٨٧ وتوفي سنة ٥٦٣. ينظر: «شجرة النور الزكية»: ١٤٦/١ رقم الترجمة: ٤٣٨.

(٢) أشبيلية مدينة جليلة بالأندلس، وهي مدينة قديمة أزلية لها أسوار حصينة. وفي سنة ست وأربعين وستمائة تغلّب العدو عليها في شعبان منها بعد أن حوصرت شهراً. ينظر: «المعجب»: ٤٥٨: ابن كردبوس: «تاريخ الأندلس لابن كردبوس»: ١٣٨: «الروض المعطار»: ٥٨-٦٠.

(٣) ينظر: «تاريخ فلاسفة الإسلام»: ١١٥؛ «ابن رشد»: ١٨؛ «تاريخ الفكر الأندلسي»: ٣٥٣؛ «معجم الفكر الإنساني»: ١٣٩؛ ابن رشد آخر فلاسفة العرب: ٨؛ إسماعيل: د. محمود: «تاريخ الحضارة العربية الإسلامية»: ٢٤٣.

(٤) ينظر: «التكملة»: ٥٥٣/٢؛ «المغرب»، رقم الترجمة: ١٠٤؛ «العبر»: ٨٧/٤؛ «الوافي»: ١١٤/٢؛ «النجوم»: ١٥٤/٦؛ «الديباج المذهب»: ٢٥٧/٢؛ «سير أعلام النبلاء»: ٣٠٧/٢١-٣١٠.

(٥) أبو مروان الباجي: محمد بن أحمد بن عبد الملك بن عبد العزيز، الرَاوية، اللخميّ الباجي: من أهل أشبيلية، وقاضي الجماعة بها. يكنّى: أبا مروان. كان: فاضلاً متواضعاً؛ ولم يكن من أهل العناية بالرواية. توفي في مصر - بعد دخوله إيّاها بليلتين - سنة ٦٣٥؛ ودفن بالقرافة. ومولده ٥٦٤. ينظر: «التكملة»: ٦٣٨/٢.

رث البِزة[1] قوي النفس»[2].

وأضحى يترجم لابن رشد بقاضي الجماعة الحفيد الغرناطي الفقيه الأديب العالم الجليل الحافظ المتفنن الحكيم المؤلف المتقن الذي لم يدع النظر، ولا القراءة منذ عقل إلاَّ ليلة وفاة والده، وليلة بنائه بزوجه[3].

وسيتضح لنا المزيد من إطلالة النشأة في البيئة الأكبر الاجتماعية العلمية.

❑ المطلب الثاني: المجتمع الذي تنامى فيه

قرطبة المدينة والعاصمة للحكم الأموي، وقد تميزت بغلبة الفقه المالكي، واتسام الدولة بالحكم الإسلامي. في مكان ولادة ابن رشد الحفيد وفي عصر الولادة باتت بلاد الأندلس تترنح، وتتموج بمحن قاسية من التنافس على ألقاب الخلافة ولهو ولاتها وتخليهم عن مسؤولياتهم الشرعية، وإهمالهم للجهاد، وتخاذلهم، وتقاسم البلاد بين المسلمين والنصارى[4].

والأدهى في الأمر، أنَّ الأمراء اللاهين كان يرى من بين ممالك النصارى وصاية عليه، ومنهم «محمد بن عباد[5] أعظم ملوك الأندلس من المسلمين. وكان

---

(١) البِزّة: والبِزّة، بالكسر: الهيئة والشارة واللِّبْسَةُ. ينظر: ابن منظور، العلامة: «لسان العرب المحيط»: ١/٢٠٧، باب بزز.

(٢) «التكملة لكتاب الصلة»؛ مصدر سابق: ٢/٥٥٤، «شجرة النور الزكية»: ١/١٤٦؛ «طبقات الأطباء»: ٥٣٠.

(٣) ينظر: «شجرة النور الزكية»: ١/١٤٦، رقم الترجمة: ٣٩.

(٤) «الذيل والتكملة»: ١/٢٨؛ «المعجب»: ٧٠؛ أشباخ، يوسف «تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين»: ٢/٢٥٠.

(٥) المعتمد على الله أبو القاسم محمد بن المعتضد بالله أبي عمرو عباد بن الظافر، اللخمي، من ولد النعمان بن المنذر اللخمي آخر ملوك الحيرة؛ كان المعتمد صاحب قرطبة وأشبيلية وما والاهما من جزيرة الأندلس. قيل: فيه أنَّه أندى ملوك الأندلس راحة، وأرحبهم ساحة، وأعظمهم نمادا، وأرفعهم عمادا... توفي في السجن بأغمات، سنة ثمان وثمانين وأربعمائة، رحمه الله تعالى. ينظر: ابن خلكان: «وفيات الأعيان»: ٥/٢١؛ «الوافي»: ٣/١٨٣؛ «المعجب»: ١٥٨.

يملك أكثر البلاد مثل قرطبة وأشبيلية وكان يؤدي إلى الأذفونش[1]. ضريبة كُلّ سنة فلما ملك الأذفونش طليطلة[2] أرسل إليه المعتمد الضريبة على عادته فردها عليه، ولم يقبلها منه فأرسل إليه يتهدده ويتوعده...»[3].

وأمَّا في بقية العالم الإسلامي الذي لم يبعث عن صحوة، فالخلافة العباسية اعتراها الضعف، والأمم المسيحية تحاول الاستيلاء على الأماكن المقدسة بفلسطين، كما تحاول بعناد، وتفاؤل، بالأندلس.

وقرطبة هي كما ظهرت لنا من تاريخها يموت المجد، وصرح الإسلام فيها.

وفي هذا الصراع -كما ذكرنا- ولد ابن رشد، والذي نريد أن نستفيد منه في التقويم هو ما تولد من أفكار ومذاهب، وما تنامى، واستقر كفصل مقال في المناحي العلمية، والفكرية لأبي الوليد الحفيد حتى نسأل ونقول؛ أأثر ابن رشد أم تأثر؟

للإجابة عن هذا السؤال يقتضي منا أن نستعرض بإيجاز - لأننا في معرض التعريف - المذاهب الفكرية والفلسفية إلى جانب قيام تلك الدول، وسقوطها، والدنيا حول ودول.

---

(١) الأذفونش: بضم الهمزة وسكون الذال المعجمة وضم الفاء وسكون الواو وبعدها نون ثُمَّ شين معجمة، وهو اسم لأكبر ملوك الإفرنج، وهو صاحب طليطلة. ينظر: «وفيات الأعيان»: ١٩/٧.

(٢) طليطلة: وهي مركز لجميع بلاد الأندلس؛ لأنَّ منها إلى قرطبة تسع مراحل ومنها إلى بلنسية تسع مراحل أيضاً ومنها إلى مرية في البحر الشامي تسع مراحل أيضاً. وطليطلة عظيمة القطر كثيرة البشر. ووجد أهل الإسلام فيها ذخائر عند افتتاح الأندلس كادت تفوق الوصف كثرة، فمنها مائة وسبعون تاجاً من الذهب مرصعة بالدرر وأصناف الحجارة الكريمة وألف سيف بجوهر ملوكي، والدر والياقوت أكيال وأوساق، وكان أخذ النصارى لمدينة طليطلة في منتصف محرم سنة ثمان وسبعون وأربعمائة. ينظر: «المعجب»: ٣٩، ٣٥؛ «تاريخ الأندلس لابن كردبوس»: ١٤٨؛ «الروض المعطار»: ٣٩٣.

(٣) ابن الأثير محمد بن محمد: «الكامل في التاريخ»: ١٣٨/١؛ «وفيات الأعيان»: ٢٨/٥.

ظهرت الدعوة الفاطمية في أفريقيا الشمالية، وظهورها في المغرب قد غيّر فيه كثيراً من وجهات الثقافة والسياسة، ولا يخفى على الناقد، والناظر أنَّ الدعوة الفاطمية هي الدعوة الإسماعيلية بعينها.

وقد كان الإسماعيليون يشتغلون بالفلسفة، ويرجحون مذهب الأفلاطونية الحديثة؛ وهو مذهب الفيلسوف أفلوطين[1] *Plotinus* (٢٠٥ - ٢٧٠م)[2].

وكانت دولة الموحدين أوَّل دولة أفريقية تقف أمام الفاطميين موقف المناظرة في السياسة والثقافة.

وفي الجانب الآخر كان للفلسفة في المغرب رواد قبل ابن رشد أشهرهم ابن باجه أو ابن الصائغ[3] الذي توفي سنة ٥٣٣ للهجرة إذ كان ابن رشد في الثالثة عشرة من عمره.

---

(١) أفلوطين بن أرسطوان أحد أساطين الحكمة الخمسة من يونان كبير القدر فيهم مقبول القول بليغ في مقاصده أخذ عن فيثاغورس اليوناني، وشارك سقراط في الأخذ عنه، ولم يشتهر ذكره بين علماء يونان إلى بعد موت سقراط، وكان شريف النسب في بيوت يونان. ومن مصنفاته: «كتاب السياسة»، «كتاب لا خسة في الشجاعة» إلى غيرهما من المصنفات. توفي في السنة الثالثة عشر من ملك الأوخس، وكان ملك مقدونية في ذلك الوقت. ينظر: «كتاب إخبار العلماء بأخبار الحكماء»: ١٣.

(٢) العقاد: «ابن رشد»: ٩.

(٣) ابن باجة: محمد بن يحيى بن باجة، وقد يعرف بابن الصائغ، أبو بكر التجيبي الأندلسي السرقسطي: من فلاسفة الإسلام. ولد في سرقسطة، واستوزره أبو بكر بن إبراهيم والي غرناطة ثُمَّ سرقسطة. وذهب إلى فاس فاتهم بالإلحاد، ومات فيها، قيل: مسموماً، قبل سن الكهولة سنة ٥٣٣هـ. وكان مع اشتغاله بالفلسفة والطبيعيات والفلك والطب والموسيقى، شاعراً مجيداً، عارفاً بالأنساب. شرح كثيراً من كتب أرسطاطاليس ، وصنف كتباً كثيرةً ضاع أكثرها، وبقي ما ترجم منها إلى اللاتينية والعبرية ومما بقي من كتبه: «مجموعة في الفلسفة والطب والطبيعيات» و«رسالة الوداع». وكان من جملة تلاميذه القاضي أبو الوليد محمد بن رشد. ينظر: «طبقات الأطباء»: ٥١٥؛ «وفيات الأعيان»: ٤/٤٢٩.

أمَّا بعد ابن باجة فأشهر الفلاسفة هما الزميلان ابن الطفيل[1] وابن رشد، وقد اجتمعا زمناً في بلاط الموحدين[2].

وعن طريق ابن الطفيل اتصل ابن رشد بالأمير الموحدي أبي يعقوب يوسف[3]. ووجد ببلاط الأمير الشغوف بالفلسفة مقاماً طيباً فكان طبيبه الخاص[4].

---

(١) ابن الطفيل: محمد بن عبد الملك بن محمد بن طفيل القيسي الأندلسي، أبو بكر: فيلسوف. تعلم الطب في غرناطة، وخدم حاكمها. ثُمَّ أصبح طبيباً للسلطان أبي يعقوب ابن يوسف سنة ٥٥٨هـ. واستمر إلى أن توفي بمراكش سنة ٥٨١هـ، وحضر السلطان جنازته. وهو صاحب القصة الفلسفية «حي بن يقظان». وكانت بينه وابن رشد مراجعات ومباحثات، في «رسم الدواء» جمعها ابن رشد في كتاب. ينظر: «المعجب»: ٣١١؛ «وفيات الأعيان»: ١٣٤/٧؛ «دائرة المعارف الإسلامية»: ٢١٢/١.

(٢) ينظر: العقاد: «ابن رشد»: ١٥؛ «تاريخ الحضارة العربية الإسلامية»: ٢٤٤.

(٣) أبو يعقوب: يوسف بن عبد المؤمن بن علي القيسي الكومي، أبو يعقوب، أمير المؤمنين: من ملوك دولة الموحدين بمراكش وهو الثالث فيهم. بويع له وهو بأشبيلية بعد وفات أبيه سنة ٥٥٨هـ وحُسنت سيرته. وكان حازماً شجاعاً، عارفاً بسياسة رعيته، له علم بالفقه، كثير الميل إلى الحكمة والفلسفة. استقدم إليه بعض علماء الأقطار وفي جملتهم أبو الوليد ابن رشد. له فتوحات انتهى بها إلى مدينة شنترين (غربي جزيرة الأندلس) وهناك، وهو محاصر لها، أصيب بجراحة من حامية الأفرنج، أراد الرجوع إلى المغرب فمات قرب الجزيرة الخضراء سنة ٥٨٠هـ، فحمل إلى (يتنملّل) ودفن بها إلى جنب قبر أبيه. ينظر: «المعجب»: ٣٠٨؛ «وفيات الأعيان»: ١٣٠/٧؛ أبو شامة، شهاب الدين: «تراجم رجال القرنين السادس والسابع»: ١٦.

(٤) ينظر: الناصري، الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد: «كتاب الاستقصاء»: ٢٠٢/٢، «تاريخ الحضارة العربية الإسلامية»: ٢٤٤؛ «تاريخ فلاسفة الإسلام»: ١١٦؛ عبده الحلو «ابن رشد»: ١٣؛ «دائرة المعارف الإسلامية»: ١٦٦/١؛ بروكلمان، كارل: «تاريخ الشعوب الإسلامية»: ١٩٦/٢.

وفي ضوء هذه الأحداث، والتقلبات، وتوالي الدول، وتولي الأمراء عليها مع نزعاتهم الفلسفية وبلوغ ابن رشد مرتبة الأستاذ[1] حتى أصبح مبرّزاً في الفلسفة، والفقه، وغيرهما لم تعزله هذه وتلك عن آلام أمته وآمالها، فأضحى يهتم بشؤون العباد والبلاد بما له من «وجاهة عظيمة عند الملوك لم يصرفها في ترفيع حال، وإنما صرفها في مصالح بلده خاصة، ومنافع أهل الأندلس عامة، ثُمَّ امتحن بالنفي وإحراق كتبه القيّمة[*] إلاَّ ما كان من الطب والحساب، وما يتوصل به من علم النجوم[2] إلى معرفة أوقات الليل والنهار وأخذ سمت القبلة؛ فانتشرت هذه الكتب

---

(١) الأستاذ: مرتبة شريفة عزيزة في الحضارة الإسلامية يبلغها طالب العلم؛ حيث يحصل على الإجازة العلمية في العلوم العقلية والنقلية «علوم الجادة»، ويصبح فاضلاً من فضلاء عصره والتي تعد شهادة الدكتوراه مرتبة دنيا بالنسبة لها. والإجازة العلمية هذه أخذتها أقدم جامعة في أوربا هي «جامعة بادفا» في الشمال الإيطالي، ولا تزال هذه الجامعة تمنح الشهادات العلمية على منهج الجامعات الإسلامية - إجازة علمية واحدة هي الشهادة العالية والعليا في علوم الاختصاص واسمها «لاوريا». لكن أضحى الأستاذ اليوم يطلق بلا ضابط حتى أمسى يطلق على أصحاب المهن والحرف من قبل صناعهم والدنيا حول! ينظر: «البرد النضير»: ٢٨؛ مصطفى، الدكتور عبد الله: «الحرية الجامعية»: ١٨٧.

(*) وهذه المظلمة بإحراق كتبه لم تقتصر على ابن رشد الحفيد؛ فقد وقعت على الإمام الغزالي من قبل وابن حزم، وغيرهما؛ و«إنا لله وإنا إليه راجعون».

ينظر: «مرآة الجنان»: ٢٨٦/٣؛ الحموي: ياقوت: «معجم البلدان»: ٢٥٢/١٢-٢٥٣.

(٢) علم النجوم: وهو علم يتعرف منه الاستدلال بالتشكلات الفلكية من أوضاعها، وهي أوضاع الأفلاك والكواكب: من المقابلة، والمقارنة وغيرهما. وليعلم أنَّ كثيراً من العلماء على تحريم النجوم مطلقاً؛ وهذا ما يخص أعمال الكهان والسحرة، وما نجد من مدارك شريعة الإسلام نصاً يحرم شيئاً من العلوم ما خلا علماً واحداً هو علم السحر والشعبذة الملحقة به. وأمَّا هنا فالمقصود من علم النجوم ما يخص علم المواقيت وهو من فروع علم الهيئة هو من العلوم التي يدرسها علماء الحضارة الإسلامية. وإلى عهد قريب تدرس=

في سائر البلاد، وعُمل بمقتضاها، وذلك آخر أيام يعقوب المنصور[1] حيث وشوا به إليه، ونسبوا إليه أمور دينية، وسياسية ثُمَّ عفا عنه ولم يعش بعد العفو عنه، ولم يعش بعد العفو إلاَّ سنة»[2] -أي- قبل وفاة المنصور الذي نكبه بشهر أو نحوه[3].

بهذه الإطلالة المختصرة للبيئة السياسية، والاجتماعية، وما تولد منها من تأثير، وأثر في فكر ابن رشد سلباً وإيجاباً؛ نختم هذا المبحث لننتقل إلى مرحلة النضوج؛ وبدايتها وهي تحمل التأثر والأثر حيث التلمذة، والتلقي؛ ثُمَّ النضج والنتاج.

=الجغرافية الفلكية ولاسيما تشريح الأفلاك لأصحاب الاختصاصات العليا والعالية ممن يجازون في علوم الكتاب والسنّة. ينظر: «مقدمة ابن خلدون»: ١/٣٨٦؛ طاش كبرى زاد: «مفتاح السعادة»: ١/٣١٢، ٣١٤، ٣٥٩؛ القنوجي: صديق بن حسن: «أبجد العلوم»: ٢/٢٥٤؛ مصطفى: الدكتور عبد الله: «معالم الطريق»: ٩٦؛ كشمولة: نكتل يونس: «النجم الزاهر»: ٣٥ - ٣٧.

(١) المنصور: يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي الكوفي الموحدي، أبو يوسف، المنصور بفضل الله: من ملوك الدولة المؤمنية في المغرب الأقصى ومن أعظمهم آثاراً. ولد بقصر حده «عبد المؤمن» بمراكش. وبويع له بعد وفاة أبيه سنة ٥٨٠هـ وكان معه في وقعة «شنترين» فرجع إلى أشبيلية، واستكمل البيعة ووجه عنايته إلى الإصلاح، فاستقامت الأحوال في أيامه وعظمت الفتوحات. وكان شديداً في دينه، أمر برفض فروع الفقه، ونهى الفقهاء عن الإفتاء إلاَّ بالكتاب والسنّة، أباح الاجتهاد لمن اجتمعت فيه شروطه، وأبطل التقليد. وإليه تُنسب الدنانير «اليعقوبية» المغربية. وبنى كثيراً من المدارس والمساجد ومستشفيات المرضى، والمجانين أجرى عليهم الأرزاق. توفي سنة ٥٩٥هـ. ينظر: «المعجب»: ٣٦٣؛ «وفيات الأعيان»: ٣/٧؛ ابن كثير، أبو الفداء: «البداية والنهاية»: ١٣/٢٢؛ «تراجم رجال القرنين السادس والسابع»: ١٦.

(٢) «المعجب»: ٣٨٤ - ٣٨٥؛ «شجرة النور الزكية»: ١/١٤٧؛ أبو ريان: الدكتور محمد علي: «تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام»: ٦٤٧.

(٣) «التكملة»: ٢/٥٥٥؛ «تاريخ الشعوب الإسلامية»: ٢/١٩٧.

المبحث الثاني

مكانته العلمية ميزاتها ونتاجها؛

وفيه ثلاثة مطالب:

- ✓ المطلب الأول: أساتذته - العلوم التي تلقّاها، وتلامذته.
- ✓ المطلب الثاني: مؤلفاته.
- ✓ المطلب الثالث: مذهبه الفقهي ومسلكه وميزاتهما.

❑ المطلب الأول: أساتذته- العلوم التي تلقّاها، تلامذته

۞ «أساتذته»:

بلغ ابن رشد مرتبة منيفة، ومكانة بارزة؛ فهو مثقف بالفلسفة.

و لم تقتصر هذه المكانة الرفيعة على الفلسفة فحسب؛ بل كان مضرب المثل في الطب، والفقه، ومختلف العلوم، والفنون الأخرى، كعلم الخلاف، وعلوم العربية وآدابها، وعلم الكلام، وعلم الفلك، وغيرها. حتى انتهى به الأمر إلى المزج بين العلوم العقلية، والنقلية، والقول بوجوب النظر العقلي، وحدود التأويل، وتقرير ما بين الشريعة والحكمة من الاتصال.

وقبل أن نبيّن النتاج، وإنه وفّق أو لم يوفّق، وهل كان مبدعاً أو مقلداً أو متأثراً بالفلاسفة؟ علينا أن نعرف العلوم التي تلقّاها من أساتذته، والفنون التي برز بها.

لابن رشد شيوخ تلقى العلم عليهم غير الأب وبركة الجد وإرثه في الفقه. وها هي ذا محاولتنا توضحهم بترتيبهم على موضوعات العلوم.

- **الحديث:**

(١) روى عن أبيه أبي القاسم استظهر عليه الموطأ حفظاً[١].

- **الفقه:**

١. أبو القاسم[٢] بن بشكوال[٣].

---

(١) «التكملة»: ١/٥٤٤؛ «الوافي بالوفيات»: ٢/١١٤؛ «شجرة النور الزكية»: ١/١٤٦؛ «تاريخ فلاسفة الإسلام»: ١١٨؛ صليبا: د. جميل: «تاريخ الفلسفة عند العرب»: ٣٤٣.

(٢) أبو القاسم بن بشكوال: خلف بن عبد الملك بن مسعود بن بشكوال الخزرجي الأنصاري الأندلسي، أبو القاسم: مؤرخ بحّاثة من أهل قرطبة، ولادةً ووفاةً. ولي قضاء بعض جهات أشبيلية. له نحو خمسين مؤلفاً، أشهرها «الصلة» في تاريخ رجال الأندلس. توفي سنة ٥٧٨. ينظر: «الديباج المذهب»: ١١٤؛ «التكملة»: ١/٥٤؛ «البداية والنهاية»: ١٢/٣٣٣: «العبر»: ٤/٢٣٤؛ «شجرة النور الزكية»: ١/١٥٤؛ «الأعلام»: ٢/٣٥٩؛ «دائرة المعارف الإسلامية»: ١/٩٧.

(٣) «التكملة»: ٢/٥٤٤؛ «شجرة النور الزكية»: ١/١٤٦؛ «تاريخ فلاسفة الإسلام»: ١١٨؛ «تاريخ الفلسفة عند العرب»: ٤٤٣.

٢. أبو مروان[١] بن مسرة[٢].
٣. أبو بكر[٣] بن سمجون[٤].
٤. أبو جعفر[٥] بن عبد العزيز[٦].
٥. أبو محمد[٧] بن رزق[٨].
٦. أبو عبد الله[٩] المازري[١٠].

---

(١) أبو مروان بن مسرة: عبد الملك بن مسرة (أو ميسرة) بن خلف بن عزيز اليحصبي من أهل قرطبة، اختص بالقاضي أبي الوليد بن رشد وجمع بين الحديث والفقه، وكان على منهاج السلف الصالح، وتوفي سنة ٥٥٢. ينظر: «العبر»: ٤/١٤٨؛ «مرآة الجنان»: ٣/٣٠٠؛ «بغية الملتمس»: ٣٦٩، رقم ١٠٧٩؛ أرسلان: شكيب: «الحلل السندسية»: ٢/١٠٤.

(٢) «التكملة»: ٢/٥٤٤؛ «شجرة النور الزكية»: ١/١٤٦، «تاريخ فلاسفة الإسلام»: ١١٨؛ «تاريخ الفلسفة عند العرب»: ٤٤٣.

(٣) أبو بكر بن سمجون: عبد الله بن عبد الملك بن سمجون الهلالي فقيه محدث. مولده سنة ٤٤٧. ينظر: «بغية الملتمس»: ٣٣٦، رقم ٩٤١.

(٤) «التكملة»: ٢/٥٤٤؛ «تاريخ فلاسفة الإسلام»: ١١٨.

(٥) أبو جعفر بن عبد العزيز: أحمد بن محمد بن عبد العزيز اللخمي أبو جعفر ، فقيه فاضل محدث توفي سنة ٥٣٣ عن سن عالية. ينظر: «بغية الملتمس»: ١٥٥، رقم ٣٦٣.

(٦) «التكملة»: ٢/٥٤٤؛ «شجرة النور الزكية»: ١/١٤٦؛ «تاريخ فلاسفة الإسلام»: ١١٨.

(٧) أبو محمد بن رزق: لم أقف على ترجمته!

(٨) «طبقات الأطباء»: ٥٣٠؛ «تاريخ فلاسفة الإسلام»: ١١٨؛ «دائرة معارف القرن العشرين»: ٤/٢٢٦.

(٩) أبو عبد الله المازري: محمد بن علي بن عمر التميمي المازري، أبو عبد الله: محدث، من فقهاء المالكية، نسبته إلى مازر بجزيرة صقلية، ووفاته بالمهدية سنة ٥٣٦. له «المعلم بفوائد مسلم» في الحديث، و«التلقين» في الفروع، و«الكشف والأنباء» في الرد على الأحياء للغزالي، و«إيضاح المحصول في الأصول» وكتب في الأدب. ينظر: «الأعلام»: ٧/١٦٤؛ «وفيات الأعيان»: ٤/٢٨٥؛ «الوافي بالوفيات»: ٤/١٥١: «الديباج المذهب»: ٢٧٩؛ «شجرة النور الزكية»: ١/١٢٧؛ «الأعلام»: ٧/١٦٤.

(١٠) «التكملة»: ٢/٥٤٤؛ «شجرة النور الزكية»: ١/١٤٦؛ «تاريخ فلاسفة الإسلام»: ١١٨.

- الطب والرياضيات والحكمة:

١. أبو مروان[١] بن جُرّبول البلنسي[٢].

٢. أبو جعفر[٣] بن هارون الترجالي[٤].

٣. ابن الصائغ[٥].

۞ تلامذته:

١. أبو بكر بُندُود بن يحيى القرطبي[٦]: جاء في «المعجب»: «أخبرني تلميذه الأستاذ أبو بكر بُندُود بن يحيى القرطبي قال: سمعت الحكيم أبا الوليد يقول غير مرة: لما دخلت على أمير المؤمنين أبي يعقوب...»[٧].

---

(١) أبو مروان: عبد الملك بن محمد البلنسي يعرف بابن جربول البلنسي. ينظر: التليلي: الدكتور عبد الرحمن: «ابن رشد الفيلسوف»: ١٤.

(٢) «التكملة»: ٢/٥٥٤؛ «طبقات الأطباء»: ٥٣١؛ «تاريخ فلاسفة الإسلام»: ١١٨.

(٣) أبو جعفر بن هارون الترجالي: من أعيان أهل أشبيلية، وكان محققاً للعلوم الحكمية، متقناً لها معتنياً بكتب أرسطو طاليس وغيره من الحكماء المتقدمين؛ فاضلاً في صناعة الطب، متميزاً فيها، خبيراً بأصولها وفروعها؛ حسن المعالجة، محمود الطريقة. اشتغل على الفقيه أبي بكر بن العربي بعلم الحديث ولازمه مدة. وكان يروي الحديث: وهو شيخ أبي الوليد بن رشد في التعاليم والطب. وكان عالماً بصناعة الكحل، وله آثار فاضلة في المداواة. توفي بأشبيلية. ينظر: «طبقات الأطباء»: ٥٣٠.

(٤) «طبقات الأطباء»: ٥٣٠، ٥٣١؛ «تاريخ فلاسفة الإسلام»: ١١٨؛ «دائرة المعارف الإسلامية»: ١/١٦٦؛ «تاريخ الفلسفة عند العرب»: ٤٤٣.

(٥) «شجرة النور الزكية»: هامش ١/١٤٧؛ «طبقات الأطباء»: ٥١٦، وجاء فيها: «وكان من جملة تلاميذ ابن باجة القاضي أبو الوليد محمد بن رشد»؛ زيدان: جرجي: «تاريخ التمدن الإسلامي»: ٢٠١.

(٦) أبو بكر بندود: لم أقف على ترجمته!

(٧) «المعجب»: ٣١٤.

٢. علي[١] بن عبد الله بن خلف الأنصاري الأندلسي[٢].

٣. أبو محمد[٣] بن حوط الله[٤].

٤. أبو الحسن[٥] سهل بن مالك[٦].

---

(١) علي بن عبد الله بن خلف بن النعمة ، أبو الحسن. فقيه حافظ محدث زاهد فاضل أديب روى فأكثر، ألّف بأحسن شرح كتاب النسائي في عشرة أسفار شرحاً لم يتقدمه أحد إليه، وقفت عليه ببلنسية وعلى كتاب التفسير له، وهو أيضاً كتاب كبير جمع علوماً جمّة سمّاه كتاب ري الظمآن في علوم القرآن. توفي سنة ٥٦٧. ينظر: «البغية»: ٤١١؛ السيوطي: أبو بكر: «طبقات المفسرين»: ٦٧؛ الداودي: «طبقات المفسرين»: ١/٤٠٧؛ «النجوم الزاهرة»: ٦/٦٦.

(٢) «طبقات المفسرين» للسيوطي: ٦٧.

(٣) أبو محمد بن حوط الله: الحافظ أبو محمد عبد الله بن سليمان بن حوط الله الأنصاري المالكي، من صدور القضاة، وأعلام الفقهاء. كان رحمه الله إماماً في العلوم، عارفاً بالأحكام، متقدماً في علم الحديث، وما يتعلق به من التاريخ، والأنساب، وأسماء الرجال، بصيراً بالأصول، أديباً قاهراً، معتنياً بالرواية، زاهداً، فاضلاً. ولي القضاء بكور كثيرة من الأندلس وغيرها. جال في بلاد الأندلس: يأخذ القراءات من المقرئين ويروي الحديث عن المسندين. ومن أعلام من لقي بقرطبة: أبو القاسم بن بشكوال - فأكثر منه وأبو العباس المحريطي، وأبو الوليد بن رشد... سمع منهم، وأكثر عنهم. توفي بمدينة غرناطة سنة ٦١٢. ينظر: النباهي: الشيخ أبو الحسن: «تاريخ قضاة الأندلس»: ١١٢؛ «التكملة»: ٢/٨٨٣؛ «شجرة النور الزكية»: ١/١٧٣.

(٤) «التكملة»: ٢/٥٥٤؛ «شجرة النور الزكية»: ١/١٤٧، ١٧٣.

(٥) أبو الحسن سهل بن محمد بن مالك الأزدي الغرناطي الأندلسي الفقيه المالكي الأديب الأصولي. توفي بغرناطة سنة ٦٣٩. صنّف حاشية على المستصفى في الأصول. كتاب في النحو على ترتيب كتاب سيبويه. ينظر: «هدية العارفين»: ١/٤١٣.

(٦) «التكملة»: ٢/٥٥٤؛ «شجرة النور الزكية»: ١/١٤٧.

٥. أبو الربيع[١] بن سالم[٢].

٦. أبو بكر[٣] بن جهور[٤].

٧. أبو القاسم[٥] بن الطيلسان[٦].

---

(١) أبو الربيع: أبو الربيع سليمان بن موسى بن سالم الحميري الكلاعي. من أهل بلنسية. تقدّم للقضاء بها؛ فسار في أحكامه بأجمل سيرة وأحمد طريقة من العدل، والتثبيت والفضل. وكان قد تجول في بلاد الأندلس والمغرب. فأخذ عن أبي القاسم بن حبيش، وأبي بكر بن الحدّ، وابن زرقون، وأبي الوليد بن أبي القاسم وغيرهم. وله تصانيف مفيدة وشهيرة في فنون شتى، منها «المسلسلات في الأحاديث والآثار»، و«كتاب نكتة الأمثال، ونفثة السحر والحلال»؛ إلى غير ذلك استشهد بكائنة أنيشة مقبلاً، غير مدبر، والراية بيده سنة ٦٣٤. ينظر: «تاريخ قضاة الأندلس»: ١١٩؛ «شجرة النور الزكية»: ١/١٨٠؛ «شذرات الذهب»: ٥/١٦٤.

(٢) «التكملة»: ٢/٥٥٤؛ «شجرة النور الزكية»: ١/١٤٧؛ «تاريخ قضاة الأندلس»: ١١٩.

(٣) أبو بكر بن جهور: محمد بن محمد بن يوسف بن أحمد بن جهور، الأزدي: من أهل (مرسية) يكنى: أبا بكر ، رحل إلى قرطبة: فصحب بها أبا الوليد بن رشد، وناظر عليه. ولم يكن الحديث شأنه، مع حفظه له. وكان له حظ من النظم والنثر. وأخذ عنه بآخره من عمره وتوفي سنة ٦٢٩. «التكملة»: ٢/٦٢٩؛ «شجرة النور الزكية»: ١/١٧٩.

(٤) المصدران السابقان.

(٥) أبو القاسم بن الطيلسان: محمد بن أحمد الأوسي القرطبي يعرف بابن الطيلسان الفقيه المحدث الراوية العالم المتفنن في العربية والقراءات. شيوخه من مائتين. له تأليف في التغليظ على شربة الخمر. والمتن على قارئ الكتاب والسنن وزهر البساتين في غريب خبر المسندين ومناقب المهتدين وغير ذلك. خرج من قرطبة عند تغلب العدو عليها سنة ٦٣٦ وتوفي بمالقة سنة ٦٤٢. ينظر: «شجرة النور الزكية»: ١/١٨٢.

(٦) «التكملة»: ٢/٥٥٤؛ «شجرة النور الزكية»: ١/١٤٧.

٨. أبو القاسم محمد بن أحمد التيجيبي[١].

٩. أبو بكر المعافري[٢].

١٠. أبو القاسم محمد بن عامر[٣].

١١. أبو عبد الله محمد الأنصاري[٤].

---

(١) محمد بن أحمد بن عبد الرحمن التيجيبي: من أهل مرسية؛ يكنى: أبا القاسم. صحب القاضي أبا الوليد بن رشد ولازمه بقرطبة وأخذ عنه علمه واستقضاه في غير ما جهة من قرطبة، ولم يزل ينهض به حتى ولي قضاء الجزيرة الخضراء، ومنها قضاء شاطبة ثُمَّ صرف عنه عند محنة أبي الوليد وتتبع أصحابه. وكان: عالماً متفنناً، أديباً ظاهراً، ناظماً ناشراً. قال فيه أبو الربيع: فاضل على الإطلاق، متقدم في نزاهة النفس وكرم الأخلاق. توفي وهو يلي قضاء دانية سنة ٦٠١. ينظر: «التكملة»: ٢/٥٧٠.

(٢) أبو بكر المعافري: محمد بن محمد حُيُّون المعافري: من أهل مرسية، يكنى: أبا بكر. لقي أبا بكر بن الجد، وأبا الحسن نجبة بن يحيى، وأبا الوليد بن رشد وغيرهم؛ فأخذ عنهم وسمع منهم. أقرأ العربية والآداب. وكان له حظ من قرض الشعر. وتوفي في سنة ٦٢٣. ينظر: «التكملة»: ٢/٦١٩.

(٣) أبو القاسم: محمد بن عامر بن فرقد بن خلف، القرشي الفهري: من أهل (موزور) وسكن أشبيلية. يكنى: أبا القاسم. روى عن جماعة كثيرة - جمعهم في فهرست حافلة له - من أعيانهم: عمّ أبيه أبو إسحاق، وأبو بكر بن الجد، وأبو عبد الله بن زرقون، وأبو الوليد ابن رشد... وغيرهم. وكان: عدلاً فاضلاً متواضعاً، موصوفاً بالرجاحة؛ راوية مكثراً. حدث وأُخذ عنه. توفي سنة ٦٢٧. ينظر: «التكملة»: ٢/٦٢٥.

(٤) أبو عبد الله: محمد بن يحيى بن هشام بن عبد الله بن أحمد، الأنصاري الخزرجي: من أهل «الجزيرة الخضراء»؛ يكنى: أبا عبد الله، ويعرف: بابن البرذعي. لقي: القاضي أبا الوليد ابن رشد، وأبا الحجاج بن نُمُوى، وأبا القاسم بن زانيف، وغيرهم. فأخذ عنهم. وكان: إماماً في صناعة العربية، بصيراً بها، عاكفاً عليها، معلّماً بها، مقدماً فيها يعترف له بذلك أهل زمانه. وله فيها تواليف؛ منها: كتاب «الإفصاح بفوائد الإيضاح» وكتاب «الاقتراح في تلخيص الإيضاح، وتتبعه بالشرح والتتميم والإصلاح» وكتاب «فصل المقال، في تلخيص أبنية الأفعال»، وغيرها. توفي سنة ٦٤٦، وقيل: سنة ٦٤٩، والله أعلم. ينظر: «التكملة»: ٢/٦٦٠؛ «شجرة النور الزكية»: ١/١٨٣.

١٢. أبو القاسم أحمد بن رشد[١].

١٣. أبو الحسين عبيد الله بن عاصم[٢].

١٤. أبو القاسم القيسي الوراق[٣].

١٥. ابن طملوس يوسف بن محمد[٤].

ومن هذا الترتيب الموجز لشيوخ ابن رشد وتلامذته؛ نعرض نتاجه العلمي وجهوده الإبداعية في رياض المطلب التالي.

---

(١) أبو القاسم: أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن أحمد بن رشد: من أهل قرطبة؛ يكنى: أبا القاسم. روى عن أبيه، وجده، وأبي القاسم بن بشكوال وغيرهم. وولي القضاء. وتوفي سنة ٦٢٠هـ. ينظر: «التكملة»: ١/١١٣؛ «شجرة النور الزكية»: ١/١٤٧.

(٢) أبو الحسين عبيد الله بن عاصم بن عيسى بن أحمد الأسدي: من أهل (رُندة)، وإمام جامعها، والخطيب به. يكنى: أبا الحسين. روى: عن أبي بكر الجد، وأبي عبد الله بن زرقون، وأبو الوليد بن رشد وغيرهم. وكان من أهل العناية بالرواية. حدث وأخذ عنه. ينظر: «التكملة»: ٢/٩٤١.

(٣) أبو القاسم الوراق: أحمد بن يوسف بن عبد العزيز بن محمد القيسي الوراق: من أهل قرطبة؛ يكنى: أبا القاسم روى عن أبيه وشاركه في أكثر شيوخه، وعن ابن عتاب، وابن رشد وغيرهم أجاز له سائرهم. توفي بمراكش سنة ٥٨٢ هـ. ينظر: «التكملة»: ١/٨٤.

(٤) ابن طملوس: يوسف بن محمد بن طملوس، أبو الحجاج. من أهل جزيرة شقر، وقد درس علوم الدين والأدب على أبي القاسم بن وضاح، وهو غرناطي رحل إلى المشرق للحج والطلب وأخذ القراءات على أبي علي بن العوجاء، فلما عاد قعد يقرئ الناس القرآن أربعين عاماً. ودرس ابن طملوس كذلك على قاضي بلنسية أبي عبد الله بن حميد وتحقق بالأدب. وقد ذكر عن نفسه أنّه درس المنطق عن طريق بعض كتب الغزالي. وكان تلميذاً لابن رشد وقد خلفه في تطبيب أبي يوسف يعقوب المنصور حيث كان طبيباً نابهاً. ولم يبق من كتبه إلاّ «المدخل إلى صناعة الطب». توفي سنة ٦٢٠هـ. ينظر: «تاريخ الفكر الأندلسي»: ٣٦٢-٣٦٣.

❑ المطلب الثاني: «مؤلفاته»

للمنزلة العلمية التي بلغ يفاعها ابن رشد نتاجٌ غزير، يتمثل في مؤلفات تنوعت بتنوع موضوعاتها، وساهمت فيما ساهمت في بناء الحضارة من شرح وتلخيص وابتكار.

وقد تعرض ابن رشد كما تعرض غيره ممن يمزجون العلوم النقلية بالعلوم الفلسفية إلى حرق مصنفاته.

وتأتي محاولتنا هنا إحصاء كتبه التي أشار إليها المترجمون لحياته، موزعين ذلك على موضوعات العلوم.

- كتب الفلسفة والإلهيات:

١. تهافت التهافت[١].

٢. كتاب الجوامع في الفلسفة، أو جوامع ما بعد الطبيعة[٢].

٣. شرح كتاب ما بعد الطبيعة لأرسطو طاليس[٣].

٤. تلخيص كتاب ما بعد الطبيعة لأرسطو طاليس[٤].

---

(١) «الوافي بالوفيات»: ٢/١١٥؛ «طبقات الأطباء»: ٥٣٢؛ ابن قنفد: أبو العباس: «كتاب الوفيات»: ٢٩٨هـ؛ «الأعلام»: ٦/٢١٣؛ «تاريخ الفكر الأندلسي»: ٣٥٦؛ رينان؛ آرنست: «ابن رشد والرشدية»، نقله إلى العربيّة عادل زعيتر: ٨٠؛ «أعلام الفكر الإنساني»: ١/١٤١؛ عبده الحلو: «ابن رشد»: ١٩؛ «تاريخ الفلسفة عند العرب»: ٤٥١؛ «تاريخ فلاسفة الإسلام»: ١٤٩؛ «تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام»: ٤٥٦؛ «دائرة معارف القرن العشرين»: ٢٢٩؛ قمير: يوحنا: «ابن رشد»: ١٦.

(٢) «تاريخ الفلسفة عند العرب»: ٤٥٠.

(٣) المصدر نفسه: ٤٥٠؛ عبدو الحلو: «ابن رشد»: ١٦؛ العقاد: «ابن رشد»: ٢٩.

(٤) «الوافي بالوفيات»: ٢/١١٤؛ «طبقات الأطباء»: ٥٣٢؛ «الأعلام»: ٦/٢١٣؛ «تاريخ الفلسفة عند العرب»: ٤٥٠؛ «دائرة معارف القرن العشرين»: ٤/٢٢٨؛ عبده الحلو: «ابن رشد»: ١٦؛ يوحنا: «ابن رشد»: ١٧.

٥. مسألة في الزمان[١].

٦، ٧. رسالتان في «اتصال العقل المفارق للإنسان»[٢].

٨. مقالة في فسخ شبهة من اعترض على الحكيم وبرهانه في وجود المادة الأولى وتبيّن أنّ برهان أرسطو هو الحق المبين[٣].

٩. شرح رسالة ابن باجة في «اتصال العقل بالإنسان»[٤].

١٠. كتاب المسائل البرهانية[٥].

١١. مسائل في الحكمة[٦].

١٢. مسألة في أنّ الله تبارك وتعالى يعلم بالجزئيات[٧].

١٣. مقالة في الوجود السرمدي والوجود الزماني[٨].

---

(١) «الوافي بالوفيات»: ١١٥/٢؛ «طبقات الأطباء»: ٥٣٣؛ «ابن رشد والرشدية»: ٨٤؛ «تاريخ فلاسفة الإسلام»: ١٥٠؛ «تاريخ الفلسفة عند العرب»: ٤٥٠.

(٢) «الوافي بالوفيات»: ١١٥/٢؛ «طبقات الأطباء»: ٥٣٣؛ «ابن رشد والرشدية»: ٨١؛ «تاريخ الفكر الأندلسي»: ٣٥٧؛ «دائرة معارف القرن العشرين»: ٢٢٩/٤.

(٣) «طبقات الأطباء»: ٥٣٣؛ «تاريخ الفلسفة عند العرب»: ٤٥٠؛ «ابن رشد والرشدية»: ٨٤.

(٤) «ابن رشد والرشدية»: ٨٢؛ «تاريخ الفلسفة عند العرب»: ٤٥١.

(٥) «ابن رشد والرشدية»: ٨٢.

(٦) «الوافي بالوفيات»: ١١٥/٢؛ «طبقات الأطباء»: ٥٣٣؛ «الأعلام»: ٢١٣/٦؛ «تاريخ الفلسفة عند العرب»: ٤٥١؛ «ابن رشد والرشدية»: ٨٥؛ «دائرة معارف القرن العشرين»: ٢٢٩/٤.

(٧) «ابن رشد والرشدية»: ٨٤؛ «تاريخ الفلسفة عند العرب»: ٤٥١؛ «تاريخ فلاسفة الإسلام»: ١٥٠.

(٨) «ابن رشد والرشدية»: ٨٤؛ «تاريخ الفلسفة عند العرب»: ٤٥١.

١٤. كتاب جوامع كتب أرسطو طاليس في الطبيعيات والإلهيات[١].

١٥. مقالة في الرد على ابن سينا[٢] في تقسيمه الموجودات إلى ممكن على الإطلاق وممكن بذاته وإلى واجب بغير وواجب بذاته[٣].

١٦. شرح الإلهيات الأوسط (تلخيص الإلهيات) لنيقولاس[٤].

---

(١) «الوافي بالوفيات»: ١١٤/٢؛ «طبقات الأطباء»: ٥٣٢؛ «الأعلام»: ٢١٣/٦؛ «تاريخ الفلسفة عند العرب»: ٤٥٠؛ «دائرة معارف القرن العشرين»: ٢٢٨/٤؛ عبده الحلو: «ابن رشد»: ١٦؛ «الموسوعة العربيّة الميسرة»: ١٦.

(٢) ابن سينا: الرئيس أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا الحكيم المشهور اشتغل بالعلوم وحصّل الفنون، ولما بلغ عشر سنين من عمره كان قد أتقن القرآن العزيز والأدب وحفظ أشياء من أصول الدين وحساب الهندسة والجبر والمقابلة. ولم يستكمل ثماني عشرة سنة من عمره إلاّ وقد فرغ من تحصيل العلوم بأسرها. وكان نادرة عصره في علمه وذكائه وتصانيفه، وصنّف كتاب «الشفاء»، و«النجاة»، و«الإشارات» وغير ذلك مما يقارب مائة مصنف. توفي سنة ٤٢٨. ينظر: «وفيات الأعيان»: ١٥٧/٢؛ «طبقات الأطباء»: ٢٣٩؛ «مع الخالدين»: ٢٥٢.

(٣) «الوافي بالوفيات»: ١١٥/٢؛ «ابن رشد والرشدية»: ٨٤؛ «تاريخ الفلسفة عند العرب»: ٤٥٠؛ «دائرة معارف القرن العشرين»: ٢٢٩/٤؛ عبدو الحلو: «ابن رشد»: ١٨؛ «تاريخ فلاسفة الإسلام»: ١٤٩؛ يوحنا: «ابن رشد»: ١٨.

- **الممكن بذاته:** ما يقتضي لذاته أن لا يقتضي شيئاً من الموجود والعدم؛ كالعالم.

والموجود: الذي يمتنع عدمه امتناعاً ليس الوجود له من غيره بل من نفس ذاته فإن كان وجوب الوجود لذاته يسمى واجباً لذاته وإن كان لغيره يسمى واجباً لغيره. ينظر: الجرجاني: «التعريفات»: ٢٤٩، ٣١٩.

(٤) «الوافي بالوفيات»: ١١٤/٢؛ «طبقات الأطباء»: ٥٣٢؛ «ابن رشد والرشدية»: ٨٤؛ «تاريخ الفلسفة عند العرب»: ٤٥١؛ «دائرة معارف القرن العشرين»: ٢٢٨/٤.

نيقولاس: كان فيلسوفاً في وقته من فلاسفة اليونان وله تقدم في معرفة الحكمة وشرح شيئاً من كتب أرسطو طاليس وله من التصانيف بعد ذلك. كتاب في جمل فلسفة=

١٧. تلخيص كتاب ما بعد الطبيعة لأرسطو طاليس[١].

١٨. مقدمة الفلسفة، وهي بالعربية، وهي مؤلفة من اثنتي عشرة مقالة: (١) الحامل والمحمول، (٢) الحدود، (٣) التحليل الأول والثاني، (٤) القضايا، (٥) القضايا الصحيحة والفاسدة، (٦) القضايا اللازمة وغير اللازمة، (٧) البرهنة، (٨) النتيجة والمطابقة، (٩) رأي الفارابي[٢] في القياس، (١٠) خصائص النفس، (١١) الحسّ والسمع، (١٢) الصفات الأربع[٣].

١٩. شرح كتاب ما بعد الطبيعة لأرسطو طاليس[٤].

=أرسطو طاليس. كتاب النبات وخرج منه مقالات. كتاب الرد على جاعل العقل والمعقولات شيئاً واحداً. كتاب اختصار فلسفة أرسطو طاليس. وكان نيقولاس هذا من أهل اللاذقية بها ولد وبها قومه ومنها أصله. وكان كثير الاطلاع عالماً بما ينقله. ينظر: «إخبار العلماء بأخبار الحكماء»: ٢٢٠.

(١) «الوافي بالوفيات»: ١١٤/٢؛ «طبقات الأطباء»: ٥٣٢؛ «الأعلام»: ٢١٣/٦؛ عبده الحلو: «ابن رشد»: ١٦؛ «تاريخ الفلسفة عند العرب»: ٤٥٠؛ «دائرة معارف القرن العشرين»: ٢٢٨/٤؛ يوحنا: «ابن رشد»: ١٧.

(٢) الفارابي: محمد بن محمد بن طرخان بن أوزلغ الفارابي التركي الحكيم المشهور، صاحب التصانيف في المنطق والموسيقى وغيرهما من العلوم، وهو أكثر فلاسفة المسلمين، ولم يكن فيهم من بلغ رتبته في فنونه، والرئيس ابن سينا بكتبه تخرج وبكلامه انتفع من تصانيفه. كان فيلسوفاً كاملاً وإماماً فاضلاً قد أتقن العلوم الحكمية، وبرع في العلوم الرياضية، زكي النفس، قوي الذكاء،... توفي سنة ٣١١، وقيل: ٣٣٩. ينظر: «وفيات الأعيان»: ١٥٣/٥؛ «طبقات الأطباء»: ٦٠٣؛ «الوافي بالوفيات»: ١٠٦/١؛ «مع الخالدين»: ٢٥٠.

(٣) «ابن رشد والرشدية»: ٨٣.

(٤) العقاد: «ابن رشد»: ٢٩؛ «تاريخ الفلسفة عند العرب»: ٤٥٢؛ عبده الحلو: «ابن رشد»: ١٦.

- كتب المنطق:

١. كتاب الضروري في المنطق، أو خلاصة المنطق، أو مقدمة المنطق[١].

٢. تلخيص كتاب البرهان لأرسطو طاليس[٢].

٣. شرح كتاب القياس (المنطقي) لأرسطو طاليس[٣].

٤. مقالة في التعريف بجهة نظر أبي نصر (الفارابي) في كتبه الموضوعة في صناعة المنطق التي بأيدي الناس وبجهة نظر أرسطو طاليس فيها[٤].

٥. كتاب في ما خالف أبو نصر لأرسطو طاليس في كتاب البرهان في ترتيبه وقوانين البراهين والحدود[٥].

٦. مقالة في القياس الشرطي[٦].

٧. شرح كتاب البرهان لأرسطو[٧].

---

(١) «الوافي بالوفيات»: ٢/١١٥؛ «طبقات الأطباء»: ٥٣٣؛ «تاريخ الفلسفة عند العرب»: ٤٥١؛ «ابن رشد والرشدية»: ٨٣؛ «تاريخ فلاسفة الإسلام»: ١٤٩؛ «دائرة معارف القرن العشرين»: ٤/٢٢٨؛ «الأعلام»: ٦/٢١٣.

(٢) «الوافي بالوفيات»: ٢/١١٥؛ «طبقات الأطباء»: ٥٣٢؛ «تاريخ الفلسفة عند العرب»: ٤٥١؛ بوحنا: «ابن رشد»: ١٦.

(٣) «الوافي بالوفيات»: ٢/١١٥؛ «طبقات الأطباء»: ٥٣٣؛ «تاريخ الفلسفة عند العرب»: ٤٥١؛ «تاريخ فلاسفة الإسلام»: ١٤٩؛ «دائرة معارف القرن العشرين»: ٤/٢٢٩؛ عبده الحلو: «ابن رشد»: ١٨؛ يوحنا: «ابن رشد»: ١٨.

(٤) المصادر نفسها.

(٥) «الوافي بالوفيات»: ٢/١١٥؛ «طبقات الأطباء»: ٥٣٣؛ «تاريخ الفلسفة عند العرب»: ٤٥١؛ «دائرة معارف القرن العشرين»: ٤/٢٢٩؛ «ابن رشد والرشدية»: ٨٢-٨٤؛ عبده الحلو: «ابن رشد»: ١٨.

(٦) المصادر نفسها.

(٧) «طبقات الأطباء»: ٥٣٣؛ «تاريخ الفلسفة عند العرب»: ٤٥١؛ «دائرة معارف القرن العشرين»: ٤/٢٢٩.

٨. جوامع الخطابة والشعر[١].

٩. المسائل المهمة في كتاب البرهان لأرسطو طاليس[٢].

١٠. تلخيص كتاب المقولات[٣].

١١. مقالة في المقدمة المطلقة[٤].

١٢. مقالة في المقول على الكل[٥].

١٣. مقالة في جهة نظر لزوم النتائج للمقاييس المختلطة[٦].

- كتب النفس:

١. شرح كتاب النفس لأرسطو طاليس[٧].

٢. مقالة في العقل، أو مقالة في العقل والمعقول[٨].

٣. كتاب في الفحص هل يمكن العقل الذي فينا وهو المسمى بالهيولاني[٩] أن

---

(١) عبده الحلو: «ابن رشد»: ١٦؛ «تاريخ الفلسفة عند العرب»: ٤٥١.

(٢) «طبقات الأطباء»: ٥٣٣؛ «تاريخ الفلسفة عند العرب»: ٤٥١.

(٣) عبده الحلو: «ابن رشد»: ١٨؛ «تاريخ الفلسفة عند العرب»: ٤٥١؛ يوحنا: «ابن رشد»: ١٦.

(٤) «تاريخ الفلسفة عند العرب»: ٤٥١.

(٥) المصدر نفسه.

(٦) المصدر نفسه.

(٧) «طبقات الأطباء»: ٥٣٢؛ «تاريخ الفلسفة عند العرب»: ٤٥٢؛ «دائرة معارف القرن العشرين»: ٢٢٩/٤.

(٨) «الوافي بالوفيات»: ١١٤/٢؛ «طبقات الأطباء»: ٥٣٣؛ «ابن رشد والرشدية»: ٨٥؛ عبده الحلو: «ابن رشد»: ١٩؛ «تاريخ فلاسفة الإسلام»: ١٥٠؛ «دائرة معارف القرن العشرين»: ٢٢٩/٤؛ «تاريخ الفلسفة عند العرب»: ٤٥٢.

(٩) الهيولي: مادة العلم وأصله لغة الفطن. وللعقل مراتب: ١ - العقل الهيولاني؛ ٢ - العقل بالملكة؛ ٣ - العقل بالفعل؛ ٤ - العقل المستفاد. ينظر: «دائرة معارف القرن العشرين»: ٦١١/١٠؛ «روح المعاني»: ٥٤/١٤.

يعقل الصور المفارقة أو لا يمكن ذلك، وهو المطلوب الذي كان أرسطو طاليس وعدنا بالفحص عنه في كتاب النفس[1].

٤. جوامع الحس والمحسوس، والذكر، والتذكر، والنوم، واليقظة، والأحلام وتعبير الرؤيا[2].

٥. تلخيص كتاب النفس[3].

٦. المسائل على كتاب النفس[4].

٧. شرح مقالة الإسكندر الأفروديسي[5] في العقل[6].

- كتب علم الكلام:

١. كتاب الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد أهل الملة[7].

---

(١) «طبقات الأطباء»: ٥٣٣؛ «ابن رشد والرشدية»: ٨١؛ عبده الحلو: «ابن رشد»: ١٩؛ «تاريخ فلاسفة الإسلام»: ١٤٩؛ «دائرة معارف القرن العشرين»: ٤/٢٢٩؛ «تاريخ الفلسفة عند العرب»: ٤٥٢.

(٢) «الأعلام»: ٦/٢١٣؛ «تاريخ الفلسفة عند العرب»: ٤٥٢.

(٣) «ابن رشد والرشدية»: ٨٥؛ «تاريخ الفلسفة عند العرب»: ٤٥٢.

(٤) «الوافي بالوفيات»: ٢/١١٤؛ «طبقات الأطباء»: ٥٣٣؛ «ابن رشد والرشدية»: ٨٥؛ عبده الحلو: «ابن رشد»: ١٩؛ «دائرة معارف القرن العشرين»: ٤/٢٢٩؛ «تاريخ فلاسفة الإسلام»: ١٥٠؛ «تاريخ الفلسفة عند العرب»: ٤٥٢.

(٥) الإسكندر الأوفروديسي الدمشقي: كان في زمن ملوك الطوائف بعد الإسكندر الملك، ورأى جالينوس واجتمع معه، وبينهما مشاغبات ومخاصمات. وكان فيلسوفاً متقناً للعلوم الحكمية بارعاً في العلم الطبيعي. وتفاسيره مرغوب فيها مفيدة للاشتغال بها. ينظر: «إخبار العلماء بأخبار الحكماء»: ٤٠؛ «طبقات الأطباء»: ١٠٦.

(٦) «ابن رشد والرشدية»: ٨٥؛ «تاريخ الفلسفة عند العرب»: ٤٥٢.

(٧) «الوافي بالوفيات»: ٢/١١٤؛ «طبقات الأطباء»: ٥٣٣؛ «الأعلام»: ٦/٢١٣؛ =

٢. فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال[١].

٣. رسالة في التوحيد والفلسفة[٢].

٤. مقالة في أن ما يعتقده المشاؤون[٣] وما يعتقده المتكلمون من أهل ملتنا في كيفية وجود العالم متقارب في المعنى[٤].

٥. شرح عقيدة الإمام المهدي[٥].

=«ابن رشد والرشدية»: ٨٦-٨٧؛ «تاريخ فلاسفة الإسلام»: ١٥٠؛ «تاريخ الفلسفة عند العرب»: ٤٥١؛ «تاريخ الفكر الأندلسي»: ٣٥٧؛ «دائرة معارف القرن العشرين»: ٤/٢٢٩؛ عبده الحلو: «ابن رشد»: ١٨-١٩.

(١) «الوافي بالوفيات»: ٢/١١٤؛ «طبقات الأطباء»: ٥٣٣؛ «الأعلام»: ٦/٢١٣؛ «ابن رشد والرشدية»: ٨٦ - ٨٧؛ «تاريخ فلاسفة الإسلام»: ١٥٠؛ «تاريخ الفلسفة عند العرب»: ٤٥١؛ «تاريخ الفكر الأندلسي»: ٣٥٧؛ «دائرة معارف القرن العشرين»: ٤/٢٢٩؛ عبده الحلو: «ابن رشد»: ١٨-١٩.

(٢) «تاريخ الفلسفة عند العرب»: ٤٥١؛ «تاريخ فلاسفة الإسلام»: ١٥٠.

(٣) المشاؤون: من الفلاسفة هم أتباع أرسطو لأنّه كان يحدثهم في الفلسفة وهو ماش ذهاباً وإياباً أمامهم. ينظر: «دائرة معارف القرن العشرين»: ٩/١٥؛ «لسان العرب»: ٤/٦٣٧.

(٤) «الوافي بالوفيات»: ٢/١١٥؛ «طبقات الأطباء»: ٥٣٣؛ «ابن رشد والرشدية»: ٨٧؛ «تاريخ الفلسفة عند العرب»: ٤٥١؛ «دائرة معارف القرن العشرين»: ٤/٢٢٩.

(٥) «ابن رشد والرشدية»: ٨٧؛ «تاريخ الفلسفة عند العرب»: ٤٥٢.

الإمام المهدي: محمد بن عبد الملك بن تومرت المصمودي البربري: أبو عبد الله، المتلقب بالمهدي، ويقال له: مهدي الموحدين: صاحب دعوة السلطان عبد المؤمن بن علي ملك المغرب، وواضع أسس الدولة المؤمنية الكومية. اشتهر بالورع والشدة في النهي عمّا يخالف الشرع. كان ابن تومرت أسمر، ربعة، عظيم الهامة، حديد النظر. داهية أبياً فصيحاً، أديباً له كتاب «كنز العلوم»، و«أعز ما يطلب». توفي سنة ٥٢٨. ينظر: «الاستقصا»: ١/١٩٩؛ «وفيات الأعيان»: ٥/٤٥؛ «الكامل لابن الأثير»: ١٠/٢٠١ - ٢٠٥؛ «الوافي بالوفيات»: ٣/٣٢٣؛ «الأعلام»: ٧/١٠٤.

- **كتب الأخلاق والسياسة:**

١. تلخيص كتاب الأخلاق لأرسطو طاليس[١].

٢. جوامع سياسة أفلاطون[٢].

- **كتب الفقه وأصوله:**

١. بداية المجتهد ونهاية المقتصد[٣].

٢. الضروري في أصول الفقه أو مختصر المستصفى[٤].

٣. شرح المقدمات في الفقه[٥].

---

(١) «الوافي بالوفيات»: ٢/١١٥؛ «طبقات الأطباء»: ٥٣٣؛ عبده الحلو: «ابن رشد»: ١٦؛ «تاريخ الفلسفة عند العرب»: ٤٥٢؛ «دائرة معارف القرن العشرين»: ٤/٢٢٨.

(٢) «ابن رشد والرشدية»: ٨٣؛ عبده الحلو: «ابن رشد»: ١٦؛ «تاريخ الفلسفة عند العرب»: ٤٥٢؛ «تاريخ فلاسفة الإسلام»: ١٤٩؛ «دائرة المعارف الإسلامية»: ١/١٦٨.

(٣) «الوافي بالوفيات»: ٢/١١٤؛ «التكملة»: ٢/٥٥٤؛ «شجرة النور الزكية»: ١/١٤٧؛ «طبقات الأطباء»: ٥٣٢؛ «الأعلام»: ٦/٢١٣؛ «ابن رشد والرشدية»: ٨٧؛ «دائرة معارف القرن العشرين»: ٤/٢٢٨؛ «دائرة المعارف الإسلامية»: ١/١٦٩؛ «تاريخ الفكر الأندلسي»: ٣٥٨؛ «تاريخ فلاسفة الإسلام»: ١٥٠؛ عبده الحلو؛ «ابن رشد»: ١٩؛ «كتاب الوفيات»: ٢٩٨.

(٤) «الوافي بالوفيات»: ٢/١١٥؛ «التكملة»: ٢/٥٥٤؛ «شجرة النور الزكية»: ١/١٤٧؛ «ابن رشد والرشدية»: ٨٨؛ «تاريخ فلاسفة الإسلام»: ١٥٠؛ القلصادي: أبو الحسن علي: «رحلة القلصادي»: ١٦٧؛ الزركشي: بدر الدين محمد بن بهادر: «البحر المحيط»: ٤/٢٣٩؛ «بداية المجتهد»: ١/٩٩.

(٥) «الوافي بالوفيات»: ٢/١١٤؛ «طبقات الأطباء»: ٥٣٢؛ «دائرة معارف القرن العشرين»: ٤/٢٢٨؛ «أعلام الفكر الإنساني»: ١/١٤١.

٤. كتاب التحصيل جمع فيه اختلاف أهل العلم مع الصحابة والتابعين وتابعيهم، ونصر مذاهبهم وبين مواضع الاحتمالات التي هي مثار الاختلاف[١].

٥. التنبيه إلى الخطأ في المتون، في ثلاثة أجزاء[٢].

٦. الدعاوى، في ثلاثة مجلدات[٣].

٧. الدرس الكامل في الفقه[٤].

٨. رسالة في الضحايا[٥].

٩. رسالة في الخراج[٦].

١٠. الكسب الحرام، أو مكاسب الملوك والرؤساء والمرابين المحرمة[٧].

- كتاب الفلك:

١. تلخيص كتاب المجسطي في الفلك[٨].

٢. مقالة في حركة الجرم السماوي، أو مقالة في حركة الفلك[٩].

---

(١) «الوافي بالوفيات»: ٢/١١٤؛ «طبقات الأطباء»: ٥٣٢؛ «الأعلام»: ٦/٢١٢؛ «دائرة معارف القرن العشرين»: ٤/٢٢٨؛ «أعلام الفكر الإنساني»: ١/١٤١.

(٢) «ابن رشد والرشدية»: ٨٨؛ «تاريخ فلاسفة الإسلام»: ١٥٠.

(٣) المصدران نفسهما.

(٤) «ابن رشد والرشدية»: ٨٨؛ «تاريخ فلاسفة الإسلام»: ١٥٠.

(٥) المصدران نفسهما.

(٦) المصدران نفسهما.

(٧) المصدران نفسهما.

(٨) «ابن رشد والرشدية»: ٨٩؛ عبده الحلو: «ابن رشد»: ١٦؛ يوحنا: «ابن رشد»: ١٧.

(٩) «الوافي بالوفيات»: ٢/١١٥؛ «طبقات الأطباء»: ٥٣٣؛ «تاريخ الفكر الأندلسي»: ٣٥٨؛ «الأعلام»: ٦/٢١٣؛ «ابن رشد والرشدية»: ٨٩.

٣. شرح كتاب السماء والعالم لأرسطو طاليس[١].

٤. تلخيص كتاب السماع الطبيعي لأرسطو[٢].

٥. تلخيص كتاب السماء والعالم لأرسطو طاليس[٣].

٦. مقالة في وجود المادة الأولى[٤].

٧. تلخيص كتاب الكون والفساد[٥].

٨. كتاب الحيوان[٦].

- كتب الطب:

١. كتاب الكليات، وهو المسمى عند مفكري العصور الوسطى الأوروبيين باسم «كوليّجتْ - *Colliget*)، وقد نشر مصوراً في تيطوان[٧] ١٩٨٣ مشفوعاً بوصف العقاقير، والأدوية التي ورد فيه إشارة إليها[٨].

---

(١) «الوافي بالوفيات»: ٢/١١٤؛ ابن رشد: «تلخيص الآثار العلوية»: ١٧؛ «دائرة معارف القرن العشرين»: ٤/٢٢٨؛ عبده الحلو: «ابن رشد»: ١٦.

(٢) «الوافي بالوفيات»: ٢/١١٤؛ ابن رشد: «تلخيص الآثار العلوية»: ١٧؛ «دائرة معارف القرن العشرين»: ٤/٢٢٨؛ عبده الحلو: «ابن رشد»: ١٦.

(٣) «الوافي بالوفيات»: ٢/١١٤؛ «طبقات الأطباء»: ٥٣٢؛ «دائرة معارف القرن العشرين»: ٤/٢٢٨؛ «تلخيص الآثار العلوية»: ١٨؛ عبده الحلو: «ابن رشد»: ١٦.

(٤) «الوافي بالوفيات»: ٢/١١٥؛ «تاريخ فلاسفة الإسلام»: ١٥٠.

(٥) «المعجب»: ٣١٤؛ عبده الحلو: «ابن رشد»: ١٦.

(٦) «الوافي بالوفيات»: ٢/١١٤؛ «طبقات الأطباء»: ٥٣٢؛ «دائرة المعارف الإسلامية»: ١/١٦٨؛ «الأعلام»: ٦/٢١٢؛ يوحنا: «ابن رشد»: ١٧.

(٧) تيطوان: بقرب مليلة مدينة قديمة كثيرة العيون، والفواكه، والزرع طيبة الهواء والماء. تكتب أيضاً تطاون، تيطاون، تيطاوان (وهي المعروفة اليوم باسم تطوان). ينظر: «الروض المعطار»: ١٤٥.

(٨) «الوافي بالوفيات»: ٢/١١٤؛ «طبقات الأطباء»: ٥٣٢؛ «التكملة»: ٢/٥٥٤؛ =

٢. شرح أرجوزة ابن سينا في الطب[١].

٣. مقالة في الترياق[٢].

٤. أجوبة أو نصائح في أمر الإسهال[٣].

٥. تلخيص كتاب الحميات لجالينوس[٤].

٦. تلخيص كتاب التعرف لجالينوس[٥].

=«ابن رشد والرشدية»: ٩٠؛ «تاريخ فلاسفة الإسلام»: ١٤٨؛ «الأعلام»: ٦/٢١٢؛ «تاريخ الفكر الأندلسي»: ٣٥٨؛ «دائرة معارف القرن العشرين»: ٤/٢٢٨؛ «دائرة المعارف الإسلامية»: ١/١٦٩.

(١) «الوافي بالوفيات»: ٢/١١٤؛ «طبقات الأطباء»: ٥٣٢؛ «تاريخ الفكر الأندلسي»: ٣٥٨؛ «ابن رشد والرشدية»: ٩١؛ «دائرة معارف القرن العشرين»: ٤/٢٢٨؛ «تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام»: ٤٥٧.

(٢) «الوافي بالوفيات»: ٢/١١٥، بلفظ: «الدرياق»؛ «طبقات الأطباء»: ٥٣٣؛ «ابن رشد والرشدية»: ٩١؛ «دائرة معارف القرن العشرين»: ٤/٢٢٩؛ «تاريخ الفكر الأندلسي»: ٣٥٨؛ يوحنا «ابن رشد»: ١٩.

(٣) «الوافي بالوفيات»: ٢/١١٤؛ «طبقات الأطباء»: ٥٣٢؛ «ابن رشد والرشدية»: ٩١؛ عبده حلو: «ابن رشد»: ١٨.

(٤) المصادر نفسها.

جالينوس: الحكيم الفيلسوف الطبيعي اليوناني من أهل مدينة فرغاموس من أرض اليونان إمام الأطباء في عصره ورئيس الطبيعيين في وقته ومؤلف الكتب الجليلة في صناعة الطب وغيرها من علم الطبيعة وعلم البرهان وقد ضم جالينوس أسماء تآليفه فهرساً يشتمل على عدة أوراق مرتبة قراءتها على طريقة تعليمها وهي تزيد على مائة تأليف. وقد ظهر جالينوس بعد ٦٦٥ سنة من وفاة بقراط. ينظر: «إخبار العلماء بأخبار الحكماء»: ٨٥؛ «طبقات الأطباء»: ١٠٩.

(٥) «الوافي بالوفيات»: ٢/١١٤؛ «طبقات الأطباء»: ٥٣٢؛ «الفهرست لابن النديم»: ١/٢٨٨؛ «دائرة معارف القرن العشرين»: ٤/٢٢٩.

٧. تلخيص كتاب القوى الطبيعية لجالينوس[١].

٨. تلخيص كتاب العلل والأعراض لجالينوس[٢].

٩. تلخيص مقالات جالينوس في تشخيص بعض الأجزاء المصابة[٣].

١٠. شرح كتاب الأسطقسات[٤] لجالينوس[٥].

١١. تلخيص كتاب المزاج لجالينوس[٦].

١٢. تلخيص الخمس مقالات الأولى من كتاب الأدوية المفردة لجالينوس[٧].

١٣. تلخيص كتاب حيلة البرء لجالينوس[٨].

١٤. مقالة في المزاج[٩].

---

(١) «الوافي بالوفيات»: ٢/١١٤؛ «طبقات الأطباء»: ٥٣٢؛ «ابن رشد والرشدية»: ٩١؛ «دائرة معارف القرن العشرين»: ٤/٢٢٩؛ عبده حلو: «ابن رشد»: ١٨.

(٢) المصادر نفسها.

(٣) «ابن رشد والرشدية»: ٩٢.

(٤) الاسطقسات: الاسطقس: كلمة يونانية معناها الأصل والاسطقسات هي العناصر الأربعة. ينظر: أرسطو طاليس: «الكون والفساد»: ك٢/٢١١؛ «تلخيص الآثار العلوية»: ٢٦؛ «دائرة معارف القرن العشرين»: ١/١٩٦.

(٥) «الوافي بالوفيات»: ٢/١١٤؛ «طبقات الأطباء»: ٥٣٢؛ «ابن رشد والرشدية»: ٩٢؛ عبده حلو: «ابن رشد»: ١٨؛ «دائرة معارف القرن العشرين»: ٤/٢٢٩.

(٦) «الوافي بالوفيات»: ٢/١١٥؛ «طبقات الأطباء»: ٥٣٢؛ «ابن رشد والرشدية»: ٩٢.

(٧) «الوافي بالوفيات»: ٢/١١٥؛ «طبقات الأطباء»: ٥٣٣؛ «ابن رشد والرشدية»: ٩٢؛ «دائرة معارف القرن العشرين»: ٤/٢٢٩.

(٨) المصادر نفسها.

(٩) «الوافي بالوفيات»: ٢/١١٤، «طبقات الأطباء»: ٥٣٣؛ «دائرة معارف القرن العشرين»: ٤/٢٢٩؛ «ابن رشد والرشدية»: ٩٢.

١٥. رسالة في المفردات، أو مقالة في جملة من الأدوية المفردة[١].

١٦. عنصر التناسل[٢].

١٧. مقادير الملينات في الطب[٣].

١٨. مسألة في نوائب الحمى[٤].

١٩. مقالة في حميّات العفن[٥].

٢٠. مراجعات ومباحث بين أبي بكر بن طفيل وبين ابن رشد في رسمه للدواء في كتابه الموسوم بالكليات[٦].

- كتب النحو:

١. كتاب الضروري في النحو[٧].

٢. كلام على الكلمة والاسم المشتق[٨].

تبيّن لنا من هذا النتاج الغزير لهذا الفيلسوف المسلم مدى تأثيره في تطوير العلوم العقلية الإسلامية السائدة في زمنه إضافة إلى العلوم النقلية. بل إنّ هذا

---

(١) «ابن رشد والرشدية»: ٩٢.

(٢) المصدر السابق: ٩٣.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) «الوافي بالوفيات»: ٢/١١٥؛ «طبقات الأطباء»: ٥٣٣؛ «ابن رشد والرشدية»: ٩١؛ «دائرة معارف القرن العشرين»: ٤/٢٢٩.

(٥) «الوافي بالوفيات»: ٢/١١٥؛ «طبقات الأطباء»: ٥٣٣؛ «ابن رشد والرشدية»: ٩١؛ «دائرة معارف القرن العشرين»: ٤/٢٢٩.

(٦) «طبقات الأطباء»: ٥٣٣؛ «ابن رشد والرشدية»: ٩١.

(٧) «التكملة»: ٢/٥٤٤؛ «تاريخ فلاسفة الإسلام»: ١٥١؛ «ابن رشد والرشدية»: ٩٠؛ «بداية المجتهد ونهاية المقتصد»، تحقيق: الشيخ علي محمد عوض وآخر، ١/٧ من المقدمة.

(٨) «ابن رشد والرشدية»: ٩٠.

النتاج اقتبسه الغرب فحلّ عقال الفكر الأوروبي وفتح أبواب البحث والمناقشة على مصراعيها[1].

والمجلي لهذا النتاج بدقة وروية، يجد كتب ابن رشد الحفيد كلها قد ترجمت إلى اللاتينية خلال القرنين الميلاديين الثالث عشر والرابع عشر.

وقد عاشت علوم هذا الفيلسوف النابغ ومذاهبه الفكرية بين أتباعه الأوروبيين وفي المدرسة الفكرية المنسوبة إليه «*Averroism*» والتي أبقي مقرها الرئيسي في إيطاليا لكثرة أتباعها هناك[2].

على هذا ينسب إلى العلامة ابن رشد الفضل، والدور الأكبر في النهضة الأوروبية في القرن الثالث عشر[3].

وسبق أن ذكرنا أثر المدرسة الفكرية الأيفروسية للفلسفة والفكر والطب في التربية الجامعية لأقدم جامعات أوروبا[4]. بل لا زال المجتمع الأوربي إلى يومنا هذا يحتفل بابن رشد ونتاجه العلمي[5].

وبهذه العرضة السريعة لنتاج ابن رشد العلمي، ومكانته وأثره في الحضارة الإسلامية والأوروبية؛ نصل إلى خاتمة المطلب الثاني لنبدأ نظرنا في المطلب الثالث، والأخير فنعيش الخصائص، والميزات لمذهب ابن رشد الفقهي، ومسلكه الأصولي.

---

(١) ينظر: طوقان: قدري حافظ: «العلوم عند العرب»: ٢٠٧.

(٢) ينظر: «مجمع الأشتات»: ٥٤؛ «علم أصول القانون»: ١٠١.

(٣) ينظر: «فصل المقال»، تقديم: د. محمد عابد الجابري: ٧؛ «ندوة أعمال ابن رشد»: ٤٤؛ أمين: أحمد: «ظهر الإسلام»: ٣/٢٦٠.

(٤) ينظر هامش (١) من ص٢٧ من الكتاب.

(٥) ينظر: «الحكمة» مجلة فكرية قومية تصدر عن بيت الحكمة، بغداد - عدد خاص: ابن رشد في سنته العالمية، ١٩٩٨؛ «فصل المقال»، تحقيق: الدكتور محمد عابد الجابري.

❑ المطلب الثالث: مذهبه الفقهي ومسلكه الأصولي وميزاتهما

يُنسب ابن رشد الحفيد، إلى المالكية، ويترجم له في طبقاتهم، فهو سليل عائلة ضمَّت كبار المالكية. لكن هذه النسبة، حاجتها حاجة دراسة القواعد الترجيحية والتعليلية والفقهية لأصول فقه ابن رشد.

والمتعمّق بأطوار وتطور المناحي التاريخية الفقهية والأصولية لفقه الأندلس، يجد، ويتحسس أنَّ التحفظ لازم مرحلة لا يستهان بها بالتزام أدب المسائل الفقهية، وعرضها عرضاً يتصف بالتقيد والتقييد، ولاسيما الفقه المالكي، ولم يخل هذا الطور من الإبداع، والشجاعة، والتجديد في ترتيب المدارك، وكسر التقيد داخل المذهب المالكي نفسه تمثّل ذلك واضحاً في العلامة القاضي عياض[1] صاحب الإلماع ومشارق الأنوار مبرزاً علم الحديث ومطعّمه ومرصّعه جواهر في جيد المسائل الفقهية.

ثم تنامى التطور وتعدى إلى قوانين الجدل والتعليلات والترجيحات في الفقه وأصوله، اتضح ذلك في منهجية وعقلية الإمام الحافظ أبي الوليد الباجي[2].

---

(١) القاضي عياض: عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي البستي، أبو الفضل: عالم المغرب وإمام أهل الحديث في وقته. كان من أعلم الناس بكلام العرب وأنسابهم وأيامهم. ولي قضاء بستة، ومولده فيها، ثم قضاء غرناطة. وتوفي بمراكش سنة ٥٤٤هـ. من تصانيفه «الشفا بتعريف حقوق المصطفى» و«الغنية» و«شرح صحيح مسلم» وغيرهما من التصانيف. ينظر: «وفيات الأعيان»: ٤٨٣/٣؛ «تاريخ قضاة الأندلس»: ١٠١؛ «بغية الملتمس»: ٤٢٥.

(٢) أبو الوليد الباجي: سليمان بن خلف بن أيوب التجيبي المالكي الأندلسي الباجي؛ كان من علماء الأندلس وحفاظها. صنف كتباً كثيرة منها كتاب «المنتقى» وكتاب «إحكام الفصول في أحكام الأصول» وكتاب «التعديل والتجريح فيمن روى عن البخاري في «الصحيح» وغير ذلك. وهو أحد أئمة المسلمين. ولي القضاء بالأندلس، وقد قيل: إنَّهُ ولي قضاء حلب أيضاً، والله أعلم. توفي سنة ٤٧٤ بالمرية. ينظر: «بغية الملتمس»: ٢٨٩؛ الحموي: ياقوت: «معجم الأدباء»: ٢٤٦/١١؛ «وفيات الأعيان»: ٤٠٨.

واستمر هذا النمو والتجديد والاجتهاد المنضبط؛ فمر بالعلامة ابن حزم[1] وابن عبد البر[2] حتى انتهى إلى من نستعرض ميزات وخصائص فقهه وأصوله؛ ابن رشد الحفيد. ثم تنامى هذا الاتجاه بقسمته المنهجية على يدي الإمام الشاطبي الأندلسي[3]. وانتهى الأمر في أزماننا القريبة في المشرق والمغرب[4].

لقد مر بنا في المبحث السابق ما انتهى إليه ابن رشد من بناء عقلي شرعي وصبغة تأثر بها ثم أثر فأسست له أسس الانطلاق، ودعوة التجديد؛ فجاء مذهبه في الفقه، والأصول ينفرد بميزات يمكن إجمالها فيما يلي:

---

(١) ابن حزم: علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري: أبو محمد عالم الأندلس في عصره، وأحد أئمة الإسلام. كان في الأندلس خلق كثير ينتسبون إلى مذهبه يقال لهم: «الحزمية». ولد بقرطبة وكانت له ولاية رياسة الوزارة وتدبير المملكة، فزهد بها وانصرف إلى العلم والتأليف، فكان من صدور الباحثين فقيهاً حافظاً يستنبط الأحكام من الكتاب والسنّة، بعيداً عن المصانعة. أشهر مصنفاته «المحلى» و«الإحكام لأصول الأحكام» و«الناسخ والمنسوخ» إلى غيرها من المصنفات. توفي سنة ٤٥٦هـ. ينظر: «وفيات الأعيان»: ٣/٣٢٥؛ «الأعلام»: ٥/٩٥؛ وينظر: كتابنا الموسوم بـ«موقف ابن حزم من القياس»: ٨ وما بعدها.

(٢) ابن عبد البر: أبو عمرو يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي؛ فقيه حافظ مكثر، عالم بالقراءات، وبالخلاف في الفقه، وبعلوم الحديث والرجال، قديم السماع كبير الشيوخ، على أنّهُ لم يخرج عن الأندلس لكنه سمع من أكابر أهل الحديث بقرطبة وغيرها من الغرباء القادمين إليها وجمع وألّف تواليف نافعة وكان يميل في الفقه إلى قول الشافعي. توفي سنة ٤٦٣. ينظر: «بغية الملتمس»: ٤٧٤؛ «وفيات الأعيان»: ٧/٦٦.

(٣) الشاطبي: إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي الشهير: أصولي حافظ. كان من أئمة المالكية. من كتبه «الموافقات في أصول الفقه»، «أصول النحو»، «الاعتصام» وغير ذلك من المصنفات. توفي سنة ٧٥٠هـ. ينظر: «الأعلام»: ١/٧١.

(٤) ينظر: «ابن رشد الفيلسوف العالم»: ٤٥.

١. لم يتخل عن مسار الفقهاء وكان متحفظاً كثيراً في محاولته لذكر الرأي الراجح، والمنقدح في ذهنه، يتضح ذلك في كتابه «بداية المجتهد»؛ فيقول: «لولا أنَّهُ لا يجوز إحداث قول لم يتقدم إليه أحد في المشهور، وإن كانت مسألة فيها خلاف، لقيل: إنَّ ما ينتن منها ويستقذر بخلاف ما لا ينتن ولا يستقذر، وبخاصة ما كان منها رائحته حسنة لاتفاقهم على إباحة العنبر، وهو عند أكثر الناس فضلة من فضلات حيوان البحر، وكذلك المسك، وهو فضلة دم الحيوان الذي يوجد المسك فيه فيما يذكر»[١].

كذلك في تقسيم مذهب أبي حنيفة النجاسة إلى مغلظة ومخففة. قال ابن رشد: وتقسيمه إياه إلى مغلظة ومخففة حسن جداً»[٢].

ومع كلّ هذا التحفظ نجد إنَّ ابن رشد يرجح ما بين الأقوال ويخالف مذهب مالك خاصة، وذلك في كثير من تطبيقات «البداية»؛ ومنها قوله: «فلا حجة لأولئك في قولها فيصلي فيه بل فيه حجة لأبي حنيفة في أنَّ النجاسة تزال بغير الماء، وهو خلاف قول المالكية»[٣].

٢. الجمهور عنده الأئمة الثلاثة أحياناً هكذا جاء مصرحاً عنده في «بداية المجتهد» حيث يقول: «وإلى هذا ذهب مالك، وأبو حنيفة، والشافعي، وأصحابه هؤلاء هم الجمهور»[٤].

وقد نجد قولاً له؛ يقول فيه: «فذهب الجمهور ومالك والشافعي وأبو حنيفة...»[٥].

---

(١) ابن رشد: محمد بن أحمد: «بداية المجتهد»: ١/٧٨؛ مجلة دعوة الحق: ١٤.

(٢) «بداية المجتهد»: ١/٧٩.

(٣) «المصدر السابق»: ١/٧٩.

(٤) «المصدر السابق»: ١/٥٩.

(٥) المصدر السابق: ١/١٠.

وهذا قد لا يتعارض مع القول الأول؛ لأنّه في الثاني فصل الأصحاب عن الأئمة الثلاثة.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى يخرج لنا بمصطلح جمهور فقهاء الأمصار فيضيف مع الأئمة الثلاثة مالكاً وأبا حنيفة والشافعي والثوري وأخرج أحمد وأبا ثور وداود منهم[1].

وفي موضع آخر يدخل أحمد معهم؛ فيقول: «قال مشاهير فقهاء الأمصار: الشافعي، ومالك وأبو حنيفة وأحمد والثوري وغيرهم[2].

ومما تقدم يؤخذ عليه أنّهُ لم يحدد بالضبط المقصود بالجمهور، وجمهور علماء الأمصار ومشاهيرهم!

٣. يعلل الحكم بالحكمة، فيربط مثلاً كثيراً من الأحكام الفقهية بالطب؛ يستند إلى ذلك في الترجيح في مظان[3] الاختلاف؛ فنراه يقول في استمرار الدم الذي ترى الحامل أهو حيض أم استحاضة؟: «وسبب اختلافهم في ذلك: عُسْرُ الوقوف على ذلك بالتجربة، واختلاط الأمرين؛ فإنه مرة يكون الدم الذي تراه الحامل دم حيض، وذلك إذا كانت قوة المرأة وافرة والجنين صغيراً، وبذلك أمكن أن يكون حمل على حمل على ما حكاه بقراط[4] وجالينوس وسائر الأطباء، ومرة

---

(١) «بداية المجتهد»: ١٦٢/٢.

(٢) المصدر السابق: ٤٤١/١.

(٣) مظان: مظنة الشيء: معلمه ومكانه، وموضعه ومألفه الذي يظن كونه فيه؛ والجمع المظان. والمظنة مفعلة من الظن بمعنى العلم؛ قال ابن الأثير: وكان القياس فتح الظاء وإنما كسرت لأجل الهاء. وفي الحديث: «خير الناس رجل يطلب الموت مظانة» أي معدنه ومكانه المعروف به أي إذا طلب وجد فيه. ينظر: مادة ظن في: «معجم مقاييس اللغة»: ٤٦٢/٣؛ و«الصحاح»: ٢١٦٠/٦، و«لسان العرب»: ٦٥٥/٢.

(٤) أبقراط: ابن أبراقليدس بن أبقراط، فهو بالطبع الشريف الفاضل نسباً لأنّه التاسع من مرياميس الملك والثامن عشر من أسقلبيوس والعشرون من زاوس. وتعلّم صناعة الطب=

يكون الدم الذي تراه الحامل لضعف الجنين ومرضه التابع لضعفها ومرضها في الأكثر فيكون دم علة ومرض وهو في الأكثر دم علة»[1].

٤. يعرض الآراء الفقهية، وبما انطوت عليه من المباحث الأصولية ثم يسعى إلى إيجاد شرح صالح، ومقبول للخلاف، وذلك بدراسة طرق استنباط الحلول من مصادرها التشريعية، فإذا لم يجد تعليلاً، وترجيحاً لا يرضى كلّ الرضى عن كلّ ما قدمه الفقهاء من أدلة فيوحي بدليل من عنده يظهر له أحسن في القيام بالحجة المطلوبة. مع كلّ هذا يتوقف إلى الإمساك عن الإدلاء برأي نهائي في القضية.

إضافة إلى كلّ هذا نجده يحرص على تفهم سبب أو أسباب خلاف الفقهاء، وشرحها، وذلك بعد عرض كلّ الآراء التي اتفقوا عليها. فيرجع هذه الأسباب لا إلى اعتبارات اجتماعية أو اقتصادية أو جغرافية أو تاريخية، بل يرجعها على طريقة الأصولي البارع إلى قضايا تتعلق بالتأويل والمنهجية الفقهية؛ كتأويل المحتمل لنص قرآن أو حديث، وصحة حديث أو ترجيح قياس على حديث، أو الاعتماد على اتفاق ما أو توقف إزاء طرق مختلفة ولكنها متساوية من شأنها أن تحدث تنازعاً فقهياً[2].

يظهر ذلك في كثير من مواطن «البداية» ونختار منه هذا الشاهد: «اختلف العلماء هل من شرط هذه الطهارة -الغسل- إمرار اليد على جميع الجسد؛ كالحال

=من أبيه أبراقليدس ومن جده أبقراط، وهما أسرا إليه أصول صناعة الطب. وهو السابع من الأطباء الكبار الذين أسقليبيوس أولهم. وكانت مدة حياته خمساً وتسعين منها صبي ومتعلم ست عشرة سنة، وعالم ومتعلم تسعاً وسبعين سنة. ينظر: «طبقات الأطباء»: ٤٣؛ «إخبار العلماء بأخبار الحكماء»: ٦٤؛ «الفهرس لابن النديم»: ٢٨٧/١.

(١) «بداية المجتهد»: ٥١/١؛ العبادي: د. عبد الله: «شرح بداية المجتهد ونهاية المقتصد»: ١٢٠/١-١٢١؛ «بداية المجتهد ونهاية المقتصد»: تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، الشيخ عادل أحمد عبد الموجود: ٦٦/١.

(٢) «أعمال ندوة- ابن رشد ومدرسته في المغرب الإسلامي»: ٨٥-٨٦.

في طهارة أعضاء الوضوء، أم يكفي فيها إفاضة الماء على جميع الجسد وإن لم يمر يديه على بدنه؛ فأكثر العلماء على أنّ إفاضة الماء كافية في ذلك وذهب مالك، وجلّ أصحابه، والمزني[1] من أصحاب الشافعي؛ إلى أنّهُ إن فات المتطهر موضع واحد من جسده لم يمر يده عليه أن طهره لم يكمل بعد. والسبب في اختلافهم: اشتراك اسم الغسل ومعارضة الأحاديث الواردة في صفة الغسل لقياس الغسل في ذلك على الوضوء؛ وذلك أنّ الأحاديث الثابتة التي وردت في صفة غسله عليه الصلاة والسلام من حديث عائشة وميمونة ليس فيها ذكر التدليك وإنما فيها إفاضة الماء فقط. ففي حديث عائشة قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا اغتسل من الجنابة يبدأ فيغسل يديه، ثم يفرغ بيمينه على شماله فيغسل فرجه؛ ثم يتوضأ وضوئه للصلاة، ثم يأخذ الماء فيدخل أصابعه في أصول الشعر، ثم يصب على رأسه ثلاث غرفات، ثم يفيض الماء على جلده»[2]. والصفة الواردة في حديث ميمونة قريبة من هذا إلاّ أنّهُ أخّر غسل رجليه من أعضاء الوضوء إلى آخر الطهر[3]. وفي حديث أم سلمة أيضاً

---

(١) المزني: أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل المزني صاحب الإمام الشافعي ﷺ؛ هو من أهل مصر، وكان زاهداً عالماً مجتهداً محجاجاً غواصاً على المعاني الدقيقة، وهو إمام الشافعيين وأعرفهم بطرقه وفتاويه وما ينقله عنه، صنف كتباً كثيرة في مذهب الإمام الشافعي، منها: «الجامع الكبير» و«الجامع الصغير» و«مختصر المختصر» و«المنثور» وغيرها. وكان إذا فرغ من مسألة أودعها مختصرة قام إلى المحراب وصلى ركعتين شكراً لله تعالى. توفي سنة ٢٦٤ رحمه الله تعالى. ينظر: «وفيات الأعيان»: ١/٢١٧؛ السبكي: تقي الدين: «طبقات الشافعية الكبرى»: ١/٢١٨.

(٢) «صحيح البخاري»: كتاب الغسل - باب الوضوء قبل الغسل: ١/٦٩؛ «صحيح مسلم بشرح النووي»: كتاب الطهارة - باب صفة الغسل من الجنابة: ٣/٢٢٨-٢٣٠؛ السيوطي: جلال الدين: «تنوير الحوالك شرح على موطأ مالك»: باب العمل في غسل الجنابة: ١/٦٥ - ٦٦؛ «سنن أبي داود»: كتاب الطهارة، رقم الحديث: ٢٤٢؛ «سنن الدارقطني»: كتاب الطهارة - باب في وجوب الغسل بالتقاء الختانين: ١/١١١-١١٢.

(٣) «صحيح البخاري»: كتاب الغسل - باب الوضوء قبل الغسل: ١/٦٩.

وقد سألته عليه الصلاة والسلام: «هل تنقض ضفر رأسها لغسل الجنابة؟ فقال عليه الصلاة والسلام: «إنَّما يكفيك أن تحثي على رأسك الماء ثلاث حثيات. ثم تفيضي عليك الماء، فإذا أنت قد طهرت»[1]، وهو أقوى في إسقاط التدلك من تلك الأحاديث الأخر؛ لأنَّه لا يمكن هنالك أن يكون الواصف لطهره قد ترك التدلك وأمَّا هاهنا فإنَّما حصر لها شروط الطهارة؛ ولذلك أجمع العلماء على أنَّ صفة الطهارة الواردة في حديث ميمونة، وعائشة هي أكمل صفاتها، وإنَّ ما ورد في حديث أم سلمة من ذلك، فهو من أركانها الواجبة. وأنَّ الوضوء في أول الطهر ليس من شروط الطهر، إلاَّ خلافاً شاذاً روي عن الشافعي، وفيه قوة من جهة ظواهر الأحاديث، وفي قول الجمهور قوة من جهة النظر؛ لأنَّ الطهارة ظاهر من أمرها أنها شرط في صحة الوضوء، لا أنَّ الوضوء شرط في صحتها، فهو من باب معارضة القياس لظاهر الحديث، وطريقة الشافعي تغليب ظاهر الأحاديث على القياس. فذهب قوم، كما قلنا إلى ظاهر الأحاديث وغلبوا ذلك على قياسها على الوضوء فلم يوجبوا التدلك، وغلب آخرون قياس هذه الطهارة على الوضوء على ظاهر هذه الأحاديث، فأوجبوا التدلك؛ كالحال في الوضوء، فمن رجّح القياس صار إلى إيجاب التدلك، ومن رجح ظاهر الأحاديث على القياس صار إلى إسقاط التدلك، وأعني بالقياس: قياس الطهر على الوضوء، وأمَّا الاحتجاج من طريق الاسم ففيه ضعف؛ إذ كان اسم الطهر والغسل ينطلق في كلام العرب على المعنيين جميعاً على حد سواء»[2].

---

(١) «صحيح مسلم» بشرح النووي: كتاب الحيض - حكم ضفائر المغتسلة: ٤/١١؛ «سنن أبي داود»: كتاب الطهارة - باب في المرأة هل تنقض شعرها عند الغسل، رقم الحديث ٢٥١١٠؛ «سنن ابن ماجه»: كتاب الطهارة - باب ما جاء في غسل النساء من الجنابة، رقم الحديث ٦٠٣؛ «سنن الدارقطني»: كتاب الطهارة - باب وجوب الغسل بالتقاء الختانين: ١/١١٤.

(٢) «بداية المجتهد»: ١/٤٢-٤٣.

٥. اعتماد ابن رشد على القواعد المنطقية، وارتكازه على فكرة اعتبار أنَّ الكليات سابقة على الجزئيات، ومقدمة عليها؛ وهذا الشغف بالمبادئ العقلية يبدو في بحث ابن رشد لأكثر من قضية فقهية، ولننظر ما جاء في «البداية»؛ حيث يقول: «ولما طالبت الحنفية والشافعية بذلك الخصوص المزيد الذي للماء لجأوا في ذلك إلى أنَّها عبادة إذ لم يقدروا أن يعدوا في ذلك سبباً معقولاً حتى أنَّهم سلموا أنَّ الماء لا يزيل النجاسة بالمعنى المعقول، وإنما إزالته بمعنى شرعي، حكمي، وطال الخطب والجدال بينهم هل إزالة النجاسة بالماء عبادة أو معنى معقول خلفاً عن سلف»[1].

٦. الشغف بالمعاني العقلية، والاتصال ما بين الشريعة، والحكمة يوضح تأكيده للعلماء أن يجمعوا بين الحكمة، والشريعة، وأن يعملوا من الشريعة ما يوافق الحكمة، وأن يتأولوا من الشريعة ما لا يوافق الحكمة حتى يكون عملهم في كلّ شيء موافقاً للحكمة[2].

وهذه النقطة تمهد لنا أن نقف عند مسلكه الأصولي وميزاته، والذي يتلخص فيما يلي:

١. يلجأ ابن رشد من خلال ما يدعو إليه من مزج الشريعة بالحكمة إلى المفهوم ليبنى عليه مبدأه في التأويل؛ فنراه في «البداية» يقول: «والمصالح المعقولة لا يمتنع أن تكون أسباباً للعبادات المفروضة، حتى يكون الشرع لاحظ فيهما معنيين: معنى مصلحياً ومعنى عبادياً، وأعني بالمصلحي: ما رجع إلى الأمور المحسوسة، وبالعبادي ما رجع إلى زكاة النفس»[3].

---

(١) المصدر السابق: ٨١/١.

(٢) ابن رشد: محمد بن أحمد: «فصل المقال وتقرير ما بين الشريعة والحكمة من الاتصال»: تحقيق: الدكتور أبو عمران الشيخ، والأستاذ جلول البدوي: ٣١.

(٣) «بداية المجتهد»: ١٥/١.

وهكذا يقول في «فصل المقال»: «فإنَّا معشر المسلمين نعلم على القطع أنَّهُ لا يؤدي النظر البرهاني إلى مخالفة ما ورد به الشرع فإنَّ الحق لا يضاد الحق بل يوافقه ويشهد له»[1].

٢. يوافق ابن رشد الجمهور في اعتبار القياس مصدراً من مصادر التشريع، إلاَّ أنَّهُ يحرص على التأكيد على ضرورة الاعتماد على العقل؛ فنراه يقول: «ودليل العقل يشهد بثبوته، وذلك أنَّ الوقائع بين أشخاص الأناسي غير متناهية والنصوص والأفعال والإقرارات متناهية. محال أن يقابل ما لا يتناهى بما يتناهى»[2].

يتأكد هذا بجلاء في «فصل المقال» حيث يقول: «وإذا تقرر أنَّ الشرع قد أوجب النظر بالعقل في الموجودات واعتبارها، وكان الاعتبار ليس شيئاً أكثر من استنباط المجهول من المعلوم واستخراجه منه، وهذا هو القياس أو بالقياس فواجب أن نجعل نظرنا بالموجودات بالقياس العقلي وبين أنَّ هذا النحو من النظر الذي دعا إليه الشرع وحث عليه هو أتم أنواع النظر لأتم أنواع القياس والمسمى برهاناً»[3].

كذلك يقول: «إذا كان الفقيه يستنبط من قوله تعالى: ﴿فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾[4] وجوب معرفة القياس فبالحري أن يستنبط من ذلك العارف بالله وجوب معرفة القياس العقلي[*]...»[5].

---

(١) «فصل المقال»، تحقيق: أبو عمران الشيخ، وآخر: ٣٣ - ٣٤؛ «فصل المقال»، تحقيق: الدكتور محمد عابد الجابري: ٩٦.

(٢) «بداية المجتهد»: ١/٢ -٣.

(٣) «فصل المقال»، تحقيق: الدكتور أبو عمران الشيخ، وآخر: ٢٥.

(٤) الحشر: ٢.

(*) في نسخة أخرى: فكم بالحري والأولى. ينظر: «فصل المقال»، دراسة وتحقيق: د. محمد عمارة.

(٥) «فصل المقال»: تحقيق: الدكتور أبو عمران الشيخ، وآخر: ٢٦.

يستنتج منه أنّ ابن رشد يخلط بين القياس الفقهي والقياس المنطقي[1].

٣. يذهب ابن رشد إلى أنّ الإجماع لم يكن قطعياً فهو ليس بمثبت للحكم وإنما مظهر له؛ ولهذا قال: «وليس الإجماع مستقلاً بذاته»[2]. وسنأتي إلى بيان ذلك في باب الترجيحات.

٤. التركيز على مقاصد الشريعة الغرّاء حتى يمكن استنباط الأحكام المتعلقة بالوقائع التي لا حصر لها من مبادئ الشريعة فابن رشد الذي تحاشي دائماً أن يكون خطابه غريباً على الأمة أو هامشياً، سيكون تأويله باسم مفهوم فقهي يربطه بمفهوم فقهي آخر يجمع بينهما قاسم، وعلة هي مقاصد الشريعة[3].

---

(١) للعلماء في وقوع التعبد بالقياس خمسة مذاهب:

المذهب الأول: إنَّهُ واجب شرعاً، جائز عقلاً؛ وهو مذهب جمهور العلماء؛

المذهب الثاني: إنَّهُ واجب شرعاً وعقلاً وهو رأي القفال الشاشي من - الشافعية - وأبي الحسين البصري - من المعتزلة، وغيرهما؛

المذهب الثالث: إنَّهُ جائز عقلاً، ولم يرد في الشارع على العمل به وهو رأي الظاهرية؛

المذهب الرابع: المنع من التعبد بالقياس عقلاً وشرعاً وهو رأي الشيعة الإمامية وبعض معتزلة بغداد، وهو رأي النظام أيضاً؛

المذهب الخامس: إنّ القياس يجب العمل به في صورتين:

الأولى: أن تكون علة الأصل منصوصاً عليها.

الثانية: أن يكون الفرع أولى بالحكم من الأصل.

ولهذه المذاهب أدلتها ومناقشتها.

ينظر بتفصيل: الجويني: «البرهان في أصول الفقه»: ٢/٧٥٠ - ٧٥١؛ الغزالي: «المنخول»: ٣٢٣-٣٢٥؛ الأسنوي: «نهاية السول»: ٤/٧ وما بعدها، التفتازاني: «التوضيح على التنقيح»: ٢/٥٤؛ الشوكاني: «إرشاد الفحول»: ١٩٩؛ «موقف ابن حزم من القياس»: ٧٥-٧٧.

(٢) «بداية المجتهد»: ١/٥.

(٣) «فصل المقال»، تحقيق: الدكتور محمد الجابري: ١٠٩-١١٠.

٥. يأخذ بالظاهر مع مراعاة المعاني؛ فهو يقول: «إنَّ الظاهر هو تلك الأمثال المضروبة لتلك المعاني، والباطن هو تلك المعاني التي لا تنجلي إلاَّ لأهل البرهان»[١].

وفهمه للظاهر باعتبار أنَّ مسائل الشرع في ظنه تجري مجرى الأصول، وأنَّ أكثرها يتعلق بالمنطوق به إمَّا تعلقاً قريباً أو قريباً من القريب[٢].

٦. يصور ابن رشد أصول الفقه من علوم الآلة، وليس هو بالعلم النظري، ولا بالعلم العملي فهو يعطيه قوة القوانين والأحوال التي يتسدد الذهن نحو الصواب، وهو بذلك يخالف التصور السائد لدى الأصوليين بوقوعه ضمن العلوم التي غايتها العمل ولاسيما الكلي منها[٣].

مع هذا نراه يلوم الغزالي[٤] على الإطناب بمقدمته المنطقية لكتاب «المستصفى» وربما عابه لمزجه المنطق. وهو بهذا يلزم ابن رشد الحجة على نفسه!

٧. يمتاز بنقده لعمل أهل المدينة، وإنكاره للقياس المرسل، ومحاولة الابتعاد عن زمية المقلدين، والالتحاق بركب المجتهدين[٥].

٨. يخلط بين السبب والعلة والحكمة؛ فيجعلهم صيغة واحدة، وجميعها مختلفة من حيث المظان كما هو معلوم بمباحث العلة في كتب الأصول؛ فنراه دائماً يقول:

---

(١) أعمال ندوة، «ابن رشد»: ٢٦٠.

(٢) ينظر: «بداية المجتهد»: ١/٨٥.

(٣) ينظر: ابن رشد، محمد بن أحمد: «الضروري في أصول الفقه» أو «مختصر المستصفى»، تقديم وتحقيق: جمال الدين العلوي: ٢٤-٢٥.

(٤) الغزالي: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، الملقب حجة الإسلام زين الدين الطوسي الفقيه الشافعي، لم يكن للطائفة الشافعية في آخر عصره مثله، صنف الكتب المفيدة في عدة فنون منها ما هو أشهرها كتاب «الوسيط» و «البسيط» و«الوجيز» و«الخلاصة» في الفقه، ومنها «إحياء علوم الدين» وهو من أنفس الكتب وأشملها، وله في أصول الفقه. ينظر: «وفيات الأعيان»: ٤/٢١٧؛ «طبقات السبكي»: ٤/١٠١.

(٥) «الضروري في أصول الفقه»: ٢٨.

«وسبب اختلافهم...» هكذا في غالب ما يبتدئ من تعليله للخلاف نلحظ ذلك في «بداية المجتهد» إلاّ نادراً يقول: «اختلف العلماء في...، فمنهم من رأى...»[1]. يفعل ذلك مع إنَّهُ دعا إلى المزج بين الحكمة والشريعة كما تقدم.

حتى في ظاهر ما يعرضه من فرق لفظي بين السبب والعلة، وذلك حين يقول: «وسبب الخلاف هل هذا الحكم خاص بالعلة التي علله بها الشارع أم ليس بخاص،... فمن جعل هذا السبب خاصاً وجب أن يرتفع الحكم بارتفاع هذه العلة...»[2]. ولعله أراد بالسبب مفهومه العام الذي يشمل العلة والحكمة أيضاً لا بمفهومه الخاص الذي يقابل هذين المصطلحين[3].

٩. يحاول الابتكار، والإبداع بصيغ، ومفاهيم أصولية يرجحها؛ فنراه مثلاً يقول: «ولنسمه نحن على عادتنا الظاهر من جهة الصيغ»[4].

---

(١) «بداية المجتهد»: ١/٣٧.

(٢) «بداية المجتهد»: ٢/٣٣٠؛ «شرح بداية المجتهد»: ٤/٢٠٤١ - ٢٠٤٢.

(٣) هناك معاني ثلاثة للعلة والحكمة والسبب:

١. ما أوجب حكماً شرعياً لا محالة وهو المركب من مقتضيه أي مقتضى الحكم، وشرطه، ومحله، وأهله تشبيهاً بأجزاء العلة العقلية، مثاله: وجوب الصلاة، حكم شرعي، ومقتضيه أمر الشارع بالصلاة، وشرطه: أهلية المصلي لتوجه الخطاب إليه، بأن يكون عاقلاً بالغاً، ومحله الصلاة.

٢. ما استعيرت له العلة من التصرف العقلي إلى التصرف الشرعي: استعارتها المقتضية أي مقتضى الحكم الشرعي، وهو المعنى الطالب للحكم وإن تخلف الحكم عن مقتضيه بمانع من الحكم أو فوات شرط الحكم مثاله: اليمين. هي المقتضية لوجوب الكفارة، فتسمى علة الحكم.

٣. ما استعيرت له العلة من التصرف العقلي إلى التصرف الشرعي: استعارتها للحكمة أي حكمة الحكم وهو المعنى المناسب الذي ينشأ عنه الحكم، كمشقة سفر لقصر وفطر. ينظر: شهاب الدين: أحمد بن عبد العزيز الفتوحي: «شرح الكوكب المنير»: ١٣٧- ١٣٨.

(٤) «الضروري في أصول الفقه»: ١٠٢.

ورغبة التجديد تتنامى فيه رغم تحفظه؛ نلحظ ذلك في حادثة وقعت في قرطبة في حياة جده؛ حتى قال: «... فشنع أهل زمانه ذلك عليه لما كانوا عليه من شدة التقليد حتى اضطر أن يضع في ذلك قولاً ينتصر فيه لهذا المذهب وهو موجود بأيدي الناس»[1].

١٠. لم يذكر المصالح المرسلة أو القياس المرسل، كمصدر من المصادر الأصولية في المنهج الإجمالي الذي عرضه في براعة «بداية المجتهد» لكنا نجد تطبيقات فقهية لذلك في فصول، ومباحث، ومسائل «البداية» منثورة هنا وهناك؛ رغم إنَّ المالكية اعتمدت كثيراً على هذا المصدر!

نستنتج مما تقدم أنَّ ابن رشد لم يكن ملتزماً بأصول المالكية؛ ولذلك لا يمكن الحكم عليه بأنه كان فقيهاً مالكياً، ولاسيما قد خالف مالكاً، وهو في محيط مالكي[2]!

وسيأتي المزيد من هذه الميزات، والاستدراكات في البابين الرئيسيين عماد الكتاب فإليهما ما بعد مدخلهما من فصول لتثوير التعليلات والترجيحات الأصولية لابن رشد لاختلاف الفقهاء.

(١) «بداية المجتهد»: ٢/٣٩٤ - ٣٩٥.

(٢) ينظر: الشاطبي: «الاعتصام»: ١/٣٢٧؛ «أعمال ندوة ابن رشد»: ٩٤.